

محمود سامی البارودی

صبری











# فتح ريسا البندوي

مبانيه وسفره



بقلم

محمد صبيح

خريج السربون  
ومحرر بجريدة السياسة



( حقوق الطبع والنقل محفوظة )

سنة ١٩٢٣ م - ١٣٤١ هـ



مطبعة الشباب لصاحبها محمد عبد العزيز الصمد







# مكتبة البارودي

بحث أدبي تاريخي في حياة وشعر المرحوم  
محمود باشا سامي البارودي

بقلم

محمد صبري

خريج السربون ومحرر أدبي بجريدة السياسة

(حقوق الطبع محفوظة)

سنة ١٩٢٣ م — ١٣٤١ هـ

مطبعة ومكتبة السحاب

بشارع عبد العزيز خلف جامع العظام





# محمود سامي البارودي

تمهيد

البارودي يمثل طور الانتقال أحسن تمثيل بشخصيته البارزة في الشعر ، وهو صلة متينة بين شعر العرب القديم والشعر العصري ، وهو محيي دولة الشعر بعد العدم ، فوجب أن يعنى به المصريون لأنه زعيم النهضة الشعرية الأدبية التي هي مظهر سام من مظاهر النهضة العامة التي نهضتها البلاد في القرن التاسع عشر

ولكننا قبل أن نقلب الطرف في شعر البارودي وترجم عن الاثر الذي يتركه في النفس سنقول كلمة اجمالية نحدد بها المراد بالشعر العصري . لو تفهمنا بالدقة على حدة معنى كلتا الكلمتين « الشعر العصري » لتجنبنا سبلا كثيرة ضل فيها اللب والفهم وأخطأ في سلوكها شعراء كثيرون . الشعر شعور « يشعر » به الفرد في « عصره » والآخر تفصيل :-

الشعر الذي يصدر عن شعور صادق هو الشعر حقيقة ، هو الشعر المطبوع المنسجم الذي تنعكس في مرآته صورة من حياة الزجل يتجلى فيها طابع خاص ، وكلما كبرت شخصية الشاعر ازدادت اتصالا بعصره ، وقد يمتزج الاثنان امتزاج



الروح بالجسد ، ويصبح طابع الشخصية ممثلاً للشاعر وعصره معا

فلاجل أن يكون الشاعر شاعرا عصريا يجب أن يكون شعره شعرا وأن يكون عضريا، وهما نأضرب مثلا : يذكر القراء أن شاعرنا الكبير حافظ إبراهيم وصف القاطرة في قصيدة له ميمية في « رعاية الاطفال » فلم يوفق في هذه القصيدة كما وفق في كثير من شعره خصوصا في قصيدته الالامية التي قالها في نفس الموضوع، تلك القصيدة التي تجلت فيها شاعرية حافظ والتي يقول فيها

وكان ناحل جسمها في ثوبها

خلف الخروق يطل من عزبال

ووصف الشاعر الفرنسي « المرد دي فيني » القاطرة في أول عهدهما في قصيدة « بيت الراعي » فلم يوفق والسبب واحد ، ذلك بان الاول كان شاعر بؤس ورقة وألم خلق في قضاء لم يالفه ، وقبل ان يالفه الشعر ، فسقط ، وكان الثاني شاعرا فيلسوفا تذوب نفسه اسي على المجتمع البشري الذي أطال التأمل فيه فهبط فجأة من سماء الفكر العالي التي كان يسبح فيها بخياله وأخذ يتخوض في ماء وحل ذلك بان الشعر العصري ليس معناه وصف المحترعات العصرية من قاطرات وطائرات وما شاكلها وان كان



ذلك لا ينعمه من التعرض لها - فهذا في الحقيقة تطفل من  
الشعر على العلم وطرق أبواب ما أغناه عن الوقوف بها طويلا!  
قال البارودي

طبيعته في لوح الفؤاد مخيلي

بزجاجة العينين فهو مصور

وسرت بحسنى كهرباء حسنة

فمن العروق به سلوك تخبّر

لولا التنفس لاعتلت بي زفرة

فيخالني طيارة من يبصر

أنظر الى هذه الايات الثلاثة التي اضطررنا الى  
ذكرها الان لانها جامعة ، تجد البارودي أشار في البيت  
الاول الى آلة التصوير أو « الفتوغرافيا » ، وفي الثاني  
الى الكهرباء والسلوك ، وفي الثالث الى الطيارة ،  
أنظر كيف خلط الشاعر بين الشعر والعلم ، بين الخيال  
السامي والماديات ، بين ماء السماء الصافي وماء المستنقع الاجن ،  
فظهر شعره في تلك الصورة التي يأبها الذوق السليم  
هذه الايات ليست من الشعر العصري في شيء لانها  
ليست من الشعر ، وانى أمقت ذكر المخترعات على هذه  
الصورة كما أمقت الصنعة والتكلف والبديع والجناس وكل  
ما يحول الشعور عن مجراه الطبيعي فلا يلبث أن يتشتت



ويجب

وليس من الشعر العصري في شيء أن يولع بعض شعرائنا المعاصرين ببيكاء الاطلال والدمن كما كان يفعل العرب لانه لا أثر للاطلال والدمن في العصر الحاضر ولا يمكن أن يتم بكؤها عن شعور صادق

على أن في ذلك مظهرًا من مظاهر التقليد . والتقليد ممقوت لان معناه فقدان شخصية الفرد وشخصية العصر ، وهو دليل ضعف ، والحياة قوة

والنفس تمل التقليد لانه غدو الجديد ولكل جديد لذة ، وكما تعددت المذاهب واختلفت باختلاف العصور كان ذلك دليل نهضة وحياة . والحياة حركة

ومن أراد أن يتحقق من ذلك فليقارن بين مذهب العرب ومذهب المولدين ومذهب الاندلسيين ، أو فليقارن بين مذهب الشعراء الفرنسيين في القرن السابع عشر Ecole Classique ومذاهبهم العديدة في القرن التاسع عشر ، ثم ليقارن بعد ذلك بين مذهب الشعراء الفرنسيين أو الانجليز في الوقت الحالى وبين مذهب شعرائنا اليوم اذا كان لنا مذهب جديد معين

لا أريد بذلك الخط من مكانة الشعر العصري ولست أفكر مثلاً غبقرية شوقي التي تتجلى كالصبح ولكن من



منا لا يذوب أنسى كلما رأى شاعرنا قد وقف جزءا كبيرا  
 من شعره على المدح وسلك في ذلك مذهب القدماء  
 على أن من حسنات شوقي أنه هجر البكاء على الطلول  
 والمغاني وبكى على آثار مصر وشاد بذكراها في قصائد  
 عديدة من أجود شعره فأصبح « شاعر الآثار » وكان  
 بذلك مصري النزعة عصريا ، وكان يعبر عن شعور صادق  
 ووطنة عالية ، وكان في الوقت نفسه خير ترجمان للنهضة  
 المصرية الحديثة التي تعمل على إحياء مجد السلف

ولكننى لا أقصد الآن التكلم عن « عصرية » شوقي  
 أو مطران أو صبرى أو غيرهم وإنما أردت أن أضرب مثلا ،  
 وأضيف إلى ما تقدم أن الشاعر المصري حقيقة هو الذى  
 يضطر الناقد إلى ترتيب قصائده عند الحكم عليها ، لا بحسب  
 الأبواب من مدح ونثر وهجاء كما يفعلون ، بل بحسب  
 تاريخها فهذا هو الميعاد الصحيح الذى يدلنا على مبلغ ارتباط  
 الشعر بحياة الرجل وعصره

وتلك هي الطريقة التى سنجرى عليها في درس البارودي  
 والبحث عن آثار القديم التى تختلط أحيانا بشعره اختلاط  
 الرغام بالذهب في معدنه ، وسنبين كيف تمكن البارودي  
 من نظم بعض قصائده من الشعر النقي الحر كسبائك  
 الذهب المصنقى



ولا ريب أن هذا الشاعر سيكون لنا مثلاً كبيراً  
 تثبت به تلك الحقيقة الكبيرة التي جهلها الكثيرون وهي  
 أن أحسن الشعر أصدق.





## البارودي في صباه

١

صدر من ديوان البارودي جزآن يحتويان على معظم شعره ، وهما مصدران بمقدمة في حياة الرجل لا تنفع غلة سيما اذا تذكرنا ان حياة هذا الشاعر كانت كبيرة مضطربة متنقلة كال موج من شاطئ الى شاطئ ، مملوءة بالحوادث والعبر التي نظمها يد المقدار صحيفة في تاريخ مصر الحديث ، وأن حياته وشعره يؤلف بينهما نسب صادق . فمن أراد حقا أن يتمتع تلك الشعر العذب فليرجع الى الأصل وهو الحياة ، تلك العناقيد من كرومها المهدلة .

وحسبنا أن تصورهما من عل في لوحة مصغرة . نتكلم في هذا الفصل عن صباه حتى يقارب الأربعين في آخر حكم اسماعيل ، ثم نتكلم عنه في اطوار حياته الاخرى ، ابان النشوة العرايصة ، في منفاه وفي مصر حيث بكى واستبكي بدمع من خلاثقه الكبير .

نشأ البارودي في بيت محمد مؤثقل ، وهو ابن حسن بك حسنى ( كان من أمراء المدفعية ثم صار مديرا لدنقله وبربر على عهد المرحوم محمد علي باشا ) ابن غنم الله بك الجركسى ينتهي نسبه الى المقام الشيف نوروز الانابكي



أخي برسبای قرا المحمدی

والترك والجركس هم آخر طبقة من الغرباء الذين وفدوا  
الى مصر واتخذوها وطناً وتوالدوا فيها فاصبحوا « مولدين »  
وقد روى صاحب الهلال أن البارودی كان شديد الحرص  
على معرفة نسبه وأنه بذل نحو ٣٠٠٠ جنيه في سبيل  
البحث عنه في أنحاء القطر ومراجعة النصوص وغير ذلك  
ولد صاحب الترجمة بسرای باب الخلق لثلاث بقين من  
رجب سنة ١٢٥٥ هجرية ، وفي سنة ١٢٦٢ توفي والده بناحية  
دققله وكان عمره اذ ذاك سبع سنين وفي ذلك يقول لما ناهز  
العشرين

لا فارس اليوم يحمي السرح بالوادي

طاح الردى بشهاب الحرب والنادي

مات الذي ترهب الاقران صولته

ويتقى بأسه الضرغامه العادي

مضي وخلفني في سن سابعة

لا يرهب الخضم ابراق وارعادي

فان اكن عشت فرداً بين اصرتي

فها أنا اليوم فرد بين اندادي

وهذا الشعر كما تراه متين محكم النسيج نظمه في سن

صغيرة ، فمسر هذه القوة التي تجت قبل الاوان في عصر



مقفر من الشعر الجيد؟ أهو في تربيته القومية أم طبعه  
واستعداده؟

شرح محمود سامي في سن الثامنة في تلقى المبادئ  
التعليمية على أساتذة كانت تحضر لديه في منزله، ودخل  
في سنة ١٢٦٧، أي في سن الثانية عشر، في مدارس الحرية  
وخرج منها برتبة باشجاویش سنة ١٢٧١ في أوائل تولية  
سعيد باشا، وكان عمره اذ ذاك ١٦ سنة. ويقال انه كان  
يتعاطى صناعة الشعر في أثناء دراسته

أما تربيته الادبية فاليك ما قاله الشيخ حسين الرصافي  
في هذا الموضوع في «الوسيلة الادبية» وكان من أعرف  
الناس به: «محمود سامي البارودي لم يقرأ كتابا في فن من  
فنون العربية غير أنه لما بلغ سن العقل وجد من طبعه  
ميلا الى قراءة الشعر وعمله فكان يستمع بعض من له دراسة  
وهو يقرأ بعض الدواوين أو يقرأ وهو يحضرته حتى تصور  
في برهة يسيرة هيات التراكيب العربية فصار يقرأ ولا  
يكاد يلحن...» ثم استقل بقراءة دواوين مشاهير الشعراء  
من العرب وغيرهم حتى حفظ الكثير منها دون كلفة  
واستتبت جميع معانيها ناقد اشريفها من خيسنها. ثم جاء  
من صنعة الشعر اللائق بالامراء»

ولم يكن عصره يساعد على تكوين ملكة البلاغة



لأن حامل لواء الشعر اذ ذاك هو محمود صفوت الساعاتي  
الذي أعقب الدرويش ، وقد حدثني الموحوم حفي بك  
ناصر مرة أن أجود قصيدة نظمت في عهد محمد علي هي  
القصيدة التي مطلعها

يا آكل طه عليكم حماتي حسبت

إن الضعيف على الأجواد محمول  
والتي ما زال الى اليوم بعض سكان الريف يحفظونها ،  
وكان الليثي والتنجاري والاياري والنديم ورفاعة وابو النصر  
وغيرهم ، وهم معاصرو محمود صفوت ، مولعين بالبديع  
محتدين مثل البهاء زهير وابن خفاجة وغيرها من المتأخرين  
الذين ليسوا من حلبة هذا الميدان

أما فيما يتعلق بالوزاة فقد قال البارودي

أنا في الشعر عريق لم أرته عن كلاله

كان ابراهيم خالي فيه مشهور المقالة

ونما جدي علي يطلب النجم فناله

لأنظن ان خال البارودي كان شاعراً يمتاز عن أهل

عصره ولكن لعنل البارودي وجد فيه مشجعا علي قول

الشعر كما وجد في المغالي التي يفخر بها وفي معاهد العز

والشباب المخضرة الجناب التي درج فيها

ولكن كل هذا لا يكفي لان يبرز شاعر عن الإهاب



على معاصريه ثم يجرى حبله على غاربه حتى يلحق بفحول  
المتقدمين قبل أن يطوى برد الشباب .

اذن كان سر قوة هذا الشاعر في طبعه . وكانت في  
قرازة نفسه عين كامنة ما لبثت أن وجدت منفذاً ضئيلاً  
فتفجرت بالسحر الحلال ولم تنضب ، روى الاستاذ خليل  
مطر ان في فصل رائع : « لقد تسامحت يوماً بدالة الود  
فسألته أية حال من أحوال حياتك كنت فيها أميل الى  
الشعر وأكثراً اشتغالا به فاجابني . ان خطرات الشعر  
صحبتني في أيامي كلها ولم تفارقني الا في أقلها »

على ان من يقرأ شعر البارودي يرى ماء الطبع يترقق  
فيه ، ولقد قال هو عن نفسه في كلمة أفتتح بها ديوانه :  
« ولقد كنت في ريعان الفتوة واندفاع القريحة بتيار القوة  
ألهج به لهج الحمام بهديله ، وآنس به انس العديل بعديله ،  
لا تذرما الى وجهه أتوبه ، ولا تطلعا الى غنم أحتويه ،  
وانما هي أغراض جركتي واباء جمع بي وغرام سال على  
قلبي فلم أملك ان أهبط فخركت به جرسى ، أو تهفت  
فسريت به عن نفسي » ثم روى بيتين قالهما في هذا المعنى :  
تكلمت كالماضين قبلي بما جرت

به عادة الانسان أن يتكلم

فلا يعتمدني بالإساءة غافل فلا بد لابن الايك ان يترنما



أجل . غنى البارودي بالشعر كما يغنى الطائر من غير  
صنعة ولا تكلف ، وحركت الأغراض قواده في فجر الحياة  
فاطربنا بنغماته ، حتى جاء آخر العمر وأظلمت الدنيا في  
غيبه بعد فقد الشباب وفقد الديار وضرب الأسى على جميع  
أوتار قواده

ولقد خص شاعرنا بالذكر غرضين من الأغراض  
التي حركته في شبابه فقال « ابا جمح بي وغرام سال على  
قلبي » أما غرام ذلك الشاعر العفيف النفس فلا ندري من  
أمره شيئاً ، على أن شعره في الغرام قليل ولا أعرف له إلا  
قصيدة فذة واحدة في هذا الموضوع . وكانت من خير ما  
غنى به شاعر على غصن الغزل المياد :

هل من فتي ينشد قلبي معي      بين خدور العين بالأجرع  
كان معي ثم دعاه الهوى      فر بالحي ولم يرجع  
فهل إذا ناديته باسمه      يفيق من سكرته أو يمي  
والقصيدة كلها من أرق الشعر وهي تصافح في سماء  
الأدب . المصري قصيدة صبرى باشا التي مطلعها

يا لواء الحسن احزاب الهوى      ايقظوا الفتنة في ظل اللواء  
ويغلب على ظني أن البارودي قال قصيدته هذه في آخر  
حياته لأن عليها مسحة الشعر الذي أنضجه الألم ، ولعله  
هتف بها في منقاه ، وفي البيتين الأخيرين منها بعض الدلالة .



فهل الى الاشواق من غاية

ام هل الى الاوطان من مرجى

لا تأس يا قلب على ما مضى لا بد للمحنة من مقطع

ومهما كان من الامرفاتى اعتقد ان البارودى كانت في

نفسه مغالبة بين عاطفتى الحب والاباء فتغلب الاباء وجمع به .

ولقد كان الاباء عاملا كبيرا في حياته وفي شعره ، دفعه في

الحياة الى سلوك الطريق الوعر المملوء شوكا ليقتطف العز

من خلاله ويبلغ به أبعد غاية ، ثم الى التجلد والصبر عند

الشدائد . ودفعه في شعره الى الفخر وترك المديح الذى

« يتطلع الى غم » وهو رجل ذو مطامع طموح الى العلياء ،

وكأنما نطق الكاظمى بلسانه حين قال

ماسلونا آرام نجد وليسكن شغلتنا العلا عن الآرام

واذا دققنا النظر في مصادر هذا الاباء وجدناها ثلاثة :

أولها اصل البارودى وحسبه ، ثانيها النعرة العربية التى ورثها

الشاعر عن العرب الذين درس شعرهم وأصبح يجاريهم ، ثالثا

كبرياء حامل السيف ، سيما أن البارودى كان جنديا كبيرا .

صعد في درج الترقى في ايام سعيد واسماعيل وخاض الوقائع .

وكانت له مواقف في حرب كريد وحرب الروس مع الدولة

وصفها وصف « مصور وقائع »

أما وقد ذكرنا العز الذى خالط إباءه والذى يفوح شعره



برياه فلا يغيب عنا ان البارودي لا تكاد تخلو له قصيدة من ذكر « روضة المقياس » أو « روضة النيل » والجزيرة ، والشجر ، وغناء الاطيار ، وقد وصف حديقة جزيرة كريد وحديقة جزيرة سيلان ، وانا لا نحتاجنا أقل شك في ان البارودي كان في ايام شباه يؤم كثير اروضه المقياس والجزيرة يوم كانتا تر فلان في حلال العز أيام اسماعيل ، فانطبعت صورتها في فؤاده الحساس ، وصار كلما اوحى اليه فؤاده قول الشعر ظهرت هذه الصورة في الوان شتى

وبالجملة فان طبيعة البارودي في شبابه حركته لقول الشعر والتميز بين اساليب القدماء الذين كان يحفظ من شعرهم كل ما كان جزلا رصينا ، ثم وجدت تلك الطبيعة في الحياة ما يساعد على تغذيتها في اطوارها المختلفة فخرج شعره في شباه متينا رقيق الحواشي

ولقد ثبت لنا ان القصائد التي جارى بها القدماء أمثال ابى نواس والشريف الرضى والنابغة الذبياني وابى فراس والطغرائي ، والتي هي من أجود شعره ، هي من شعر الشباب ولسكننا لم نهتد الى هذه النقطة من الديوان المطبوع الذي جنى عليه شارحه . بل من الوسيلة الاذنية ، فان الشيخ حسين الرضوي قد اختار هذه القصائد وذكرها في كتابه ، وهو وان لم يكن قد ذكر تاريخها الا انها قد عرفنا أن تاريخ



ظهور الطبعة الاولى من كتابه كان سنة ١٢٩٦ ( لا ١٢٩٢ ) كما ذكر خطأ في اول الكتاب ( فتكون جملة القصائد التي نشرت فيه قد نشرت قبل ان يبلغ البارودي أربعين عاماً . وسند ذكر شيئاً من هذه القصائد التي تنهذى كالعرائس في أبيه حلي ، ولكننا نقرر من الآن أن البارودي كان فيها مجارياً لا مقلداً فساقها حضرية بدوية التركيب ، ومهما خشد فيها من الفاظ وتشبيهات قديمة فإن آثار التقليد سطحية ، وايت شعري متى كان الصانع المقلد يصل بالشعر الى المرتبة العليا التي وصل اليها البارودي ؟

انظر اليه مثلاً كيف وصف حرب جزيرة كريدحين خرجوا من طاعة الدولة سنة ١٢٨٢ في قصيدة ( اخذ الكرى بمعاقد الاجفان ) والتي يقول فيها :  
وضموا السلاح الى الصباح واقبلوا

يتكلمون بالسن النيران  
فلقد صور البارودي في هذه القصيدة موقفاله في تلك الحرب تصويراً دقيقاً كأنه من ريشة مصور ، ومما يزيدنا عجباً انه نظمها في مائة الصبأ اذ كانت سنة وقتئذ ٢٧ عاماً .  
وقال في موقف آخر

ولما تداعى القوم واشتبك القنا

ودارت كانهوى على قطبها الحرب



ويزين للناس القبرار من الردى  
 وماجت صدور الخيل والتهب الضرب  
 ودارت بنا الارض القضاء كأننا  
 سقينا بكأس لا يفوق لها شرب  
 صيرت لها حتى تجلت سماؤها  
 وانى عبور ان الم بنى الخطب  
 ولما اعلنت روسيا الدولة العلية بالحرب سنة ١٢٩٤  
 ذهب مع الجيش الذى أرسلته الحكومة المصرية لمساعدتها  
 ومما قاله فى هذه الحرب  
 أدور بعينى لا أرى غير أمة  
 من الروس بالبلقان يخططها العد  
 جوات على هام الجبال لغارة  
 يطير بها ضوء الضباح اذا يبدو  
 اذا نحن سرنا صرح الشر باسمه  
 وصاح القنا بالموت واستقتل الجند  
 فترى من ذلك أن البارودى قد وُضعت الحرب عن خبرة  
 وصفا يتأثر منه القاريء كأن احساسها مشترك  
 ومما قاله فى بعض القصائد الاخرى التى اشرنا اليها ،  
 وذاع على كل لسان ، وصفه للخمر فى القصيدة التى  
 يجارى بها أبانواس :



فطاف بها شمسية لهيبة لها عند الباب الرجال ثور

إذا ما شربناها أقنا مكاتنا

وظلت بنا الأرض الفضاء تدور

ومنها في وصف الجمائم:

نواعم لا يعرفن بؤس معيشة

ولا دائرات الدهر كيف تدور

خوارج من إيك دواخل غيره

زها من ظل سابغ وغدير

إذا غا زلتها الشمس رقت كأنما

على صفحتها سندس وحرير

أرأيت وصفًا أدق من هذه الآيات . يشف عن قوة

الملاحظة وحسن التخيل ؛ ومنها في الفخر

وأصبحت محسود الجلال كأنني

على كل نفس في الزمان أمير

إذا ضلت كف الدهر من غلوائه

وان قلت غصت بالقلوب صدور

ومن قوله أيضا في الفخر في القصيدة التي يجاري

بها الشريف الرضي :

ومن تكن العليا همة نفسه

فكل الذي يلقاه فيها محب

إذا أنا لم أعط المكارم حقها  
فلا عزى خال ولا ضمني أب  
ومن قوله في قصيدته التي يجارى بها أبا فراس  
وإني امرؤ لولا العوائق اذعنت

لسلطانه البدو البغيرة والحضر

من النفر الفز الذين سيوفهم  
لها في حواشي كل داجية فجر  
إذا استل منهم سبد غرب سيقه

تفرعت الافلاك والتفت الدهر  
كل هذا الشعر قاله البارودي في صباه ، وكل هذا  
الشعر يترنم به أهل العصر فهو أذن من الشعر العصري  
الحر الذي يقع من النفس مواقع الماء من ذي الغلة الصادية  
وهو كما ترى مشرق الديباجة عليه نضرة ونعيم يدل على  
إقبال الدنيا ، ولكن لا يفتك أن الأيام دول وأن أواخر  
أيام اسماعيل التي كانت في الوقت نفسه أواخر أيام شباب  
شاعرنا الذي وضع من ثدي عزه وسلطانه قد تكدرت  
بعد صفو وأصايبها ازجاج بعد أمن  
جاء في الديوان مانعه :

« قال يذم مسيرة الحكم ويحرض الناس على طلب  
العدل في الأحكام وذلك في عهد اسماعيل باشا خديوي مصر »



جاء في هذه القصيدة.

قامت به من رجال سوء طائفة

أدهى على النفس من يؤس على شكل

من كل وغتد يكاد الدست يدفعه

بغضاً ويلفظه الديوان من ملل

ذلت بهم مصر بعد العز واضطربت

قواعد الملك حتى ظل في خلل

(ومنها)

فيادروا الأمر قبل الفوت وانزعوا

شكالة الريث فالدينا مع العجل

وطالبوا بحقوق أصبحت غرضنا

أكل منتزع سهما ومختل

حتى تعود سماء الأمن صاحبة

ويرفل العدل في صاف من الحلل

هذه القصيدة فيما أعتقد مبدأ الشعر السياسي في

العصر الحديث وهي صريحة في وجه الظلم الصارخ،

واستنهاض للهمم، وحث على العمل، وتذكير بمجد دارس،

وهي وداع للشباب وبلهنية العيش، وإيدان بالدخول في

حياة قلق واضطراب، وجد بعد هو

على أن فيها معنى آخر وهو أن الشاعر قد وفق بين الشعر

والعمل ، بين الحلم والحقيقة فكان طائر النهضة الذي غرد  
 في السحر ، وكان ساعد النهضة العامل وان لم توقعه اللقادر  
 وسنرى في الفصول الآتية كيف بدأت تتغير روح  
 البارودي في شعره مع تغير الحوادث التي كان شعره مرآة  
 لها .





## صناعته الشعرية

أبنا في مقال سابق كيف تأتى للبارودي أن يصوغ في صباه قصائد بذىها المتقدمين وكانت حلية في جيد العصر ولكن هناك نقطة لا نرى بدأ من الإشارة إليها وهي أن شارح ديوان البارودي لم يحن على شعره بشرحه الطويل الغث الخسب ، بل تعدي ذلك الى عدم العناية بنشر الشعر في صورته الاصلية فمسح بعض القصائد الرائعة التي جارى بها البارودي قول المتقدمين . وكان من السهل على الشارح أن يتنبه الى هذا الخطأ الذي وقع فيه غفواً لو أنه تفهم شعر البارودي واهتمامه بحسن الشبك أو أنه أمعن النظر في القصائد التي نشرها له صاحب الوسيلة

ومن العجيب حقاً أن ينشر المصنف للبارودي وهو حتى في ريمان الشباب نصاً لقصائده أصبح بكثير من النص الذي نشر بعد وفاته ، على اثنائنا من جهة أخرى قد استعدنا الحظ بالوقوع على نصين مختلفين لقصائد أو أبيات معدودة لا نشك أن الثاني منهما الذي ظهر في ديوانه هو في الحقيقة النص الأصلي الذي أصلحه البارودي وضمه بعد أعمال الروية فيه وتقدمه نقد المصنف في الحاذق

ومن المقارنة بين هذين النصين يتبين لنا بعض جمال هذه الصنعة الشعرية وسرها، واقد صدق الاستاذ مصطفى صادق الرافعي في قوله في المقتطف سنة ١٩٠٥ « لم يكن شاعرنا كامل التصرف في فنون المعاني وان كان أشعر من جميع معاصريه بلا مراء غير انه أتم ذلك النقص بما أتمن من جمال الصنعة وبديع الرواء، أمانط البارودي في النظم فهو غاية ما دارت له الألسنة عذوية تكاد ترشف، وجزالة تلعب بالنفس وسلاسية يستريح في ظلها القلب ... »  
 وكان يقدم أبا تمام على المتنبي لأن شعر أبي تمام أجزل وصنعته أوضح وأتم »

جاء في القصيدة التي يجاري بها أبا فراس  
 أقاموا زمانا ثم يدد شملهم

ملول زمن الأيام شيمته الغدر

وقد روى صاحب الوسيلة البيت على الصورة الآتية:  
 أقاموا زمانا ثم يدد شملهم أخوفتك بالكبرام اسمه الدهر  
 فانظر الى الفرق بين الصياغتين وتأمل كيف كان البيت في أول الأمر كالمطائر الذي كسر أحد جناحيه فتعسر عليه النهوض حتى جاء الشاعر وبدا الشطر الثاني بشطر آخر يتلأم مع الأول معنى ومبنى، فان قوله « ملول من الأيام » بعد « ثم يدد شملهم » من أضعف التراكيب وأخسها



بمخلاف « أخير فتكات بالكرايم » فإن هذا التركيب جمع بين  
الجزالة والركة اللتين بلغتا منتهاهما في آخر البيت حين فسر  
شاعرنا الكناية بقوله : « اسمه الدهر » .

أضنف إلى ذلك أن في الشطر الأخير يتجلى حزن  
الشاعر على أولئك « النفر الغر » الذين يدد الزمان شملهم  
وهذا أتم للمعنى وأوفى وأكثر اتصالاً بما جاء بعد ذلك !

فلم يبق منهم غير آثار نعمة ..

تضوع برياءها الأحاديث والذكر ..

وقد تنطق الآثار وهي صوامت ..

ويثنى برياء على الوايل الزهن ..

ولعلنا كبر قصيدة بدلت معالمها وشوهدت هي القصيدة

التي يجارى بها أبا نواس فإن الفرق بين الروايتين كبير جدا

فنهج المتأديين على الموازنة بينهما لما في ذلك من فائدة ،

وانتا لا تشك أن رواية الوبسيلة أصح وأبلغ من رواية

الديوان ولا نأسف إلا على شطر واحد ذكر في الثانية وسقط

من الأولى مع البيت كله وهو

ونبهنا وقع الندى في خيلة

لها من نجوم الأفحوان ثغور

فإن الشطر الأول في غاية من الحسن والانسجام

وهو كما قال صديقي الكاشف حين أنشدته إياه « هذا شعر »

وهو ظرف من الجوهر الرقيق يشف عن ذلك النفس العالى ،  
وفيه ما يسميه الافرنج بالنغم التقليدى *harmonie imitative*  
وهو دقة التعبير عن المعانى بتركيب وألفاظ وأوزان تجسد  
لها نغما خاصا يحكى تلك المعانى ويدل عليها . اقرأنا ثمانية الشطر  
الذى سبق ذكره :

ونبهنا . وقع الندى . فى خميلة

تر ان الوقوف بعد لفظى « نبهنا » و « الندى » يجملك  
تحس وقع الندى الذى يهبط على الخميلة من عل . ومن  
الآيات التى بدلت فى هذه القصيدة قول البارودى  
عقدنا جناحى ليلنا بنهارنا      وطر نامع الذات حيث تطير  
فقد جاء فى الديوان

عقلنا به ما ند من كل صبوة      وطر نامع الذات حيث تطير  
فالشطر الذى رواه المرنسقى كما ترى ضعيف متكلف  
فى حين أن الشطر رواية الديوان من أجود التركيب  
وأجملها ، ومعنى البيت أن الشاعر كان يتمتع بليل جمع فنون  
الاهو ، وهذا دليل على السرور الكامل الذى ينسى الإنسان  
من الليالى وكر الساعات حتى ينسبه وقع الندى أو هاتف  
بالسحر وهو لاه منعم فى لذائذ العيش ، ومما يزيد من ملاحظة  
ذلك التصوير المقابلة التى بين الشطرين فإن الشاعر فى  
الشطر الاول ذكر انه « يعقل » ما ند من كل صبوة »



ووصف نفسه بالطائر الحر الذي يطير في فضاء اللذات  
حيث تطير، فأنت ترى من جمال المقابلة بين الضدين  
ما ترقص له النفس طربا

وجاء في هذه القصيدة وصف الجاثم رواية الديوان:  
إذا ضاحكتها الشمس رقت كأنما

على صفحتها سندس وحرير

فقد ورد في الوسيلة «غازتها» بدلا من «ضاحكتها»  
والأولى في هذا المقام ادق وأحلى، وهي كلمة بكر جاء بها وحي  
الشعر أما كلمة المضاحكة فهي عامة شائعة خالية من الصنعة  
الشعرية التي امتاز بها البارودي

ولقد كان شاعرنا يفتش عن الالفاظ الشعرية، وقد  
تعدل الكلمة المليحة بيتا بل قصيدة بل ديوانا. مثل ذلك  
كلمة «حواشي» في هذا البيت:

من نفر النفر الذين سيوفهم لها في حواشي كل داجية فجر  
ولعل البارودي أغار على الشريف الرضي الذي قال:  
نهار بلا لاء السيوف مفضض

وجو يحمرء الانايب مذهب

تري اليوم محمر الحواشي كأنما على الجو غروب من دم يتصبب  
لم تخرج لفظة الحواشي في بيت الشريف عن كونها  
لفظة جيدة من حيث اللغة الشعرية ولكن معناها ضيق

محدود . في حين أنها في بيت البارودي جيدة من حيث  
الصنعة الشعرية العالية ومعناها واسعة غير محدود وكلماتها  
فيها حملتك على جناحها في فضاء الفكر والخيال  
وقد أغار البارودي سهوا على شطر كامل لأعرابي كان  
سائحا فبلغه ان امرأته تزوجت فقال من آيات

أتاني بظهر الغيب أن قد تزوجت

فظلت بي الأرض الفضاء تدور

ووصف شاعرنا الخمر فقال :

إذا ما شربناها أقنأ مكاننا

وظلت بنا الأرض الفضاء تدور

ولكن البارودي أحسن الأخذ وصار أحق بالمعنى

من صاحبه . . .

هذه أمثلة علنا نكون اهتدينا بها الى بعض أضرار

تلك الصناعة، وفي اعتقادي ان البارودي جمع في أسلوبه بين

الرقّة والمتانة : والدقة والجزالة . والبداوة والحضارة . فجاء

شعره مضيقول الديباجة كالرمز المسنون يمت بنسب الى

البخترى . وكلاهما لا يشق له غبار



# البارودي في كهولته

١

## الثورة العراقية

انتقل البارودي من صباه الى كهولته تحت لواء الثورة  
تلى اسلمته الى منفاه وهجع هجوع الليث بعد أن كانت  
ه على اعدائه دولة وصولة

ولسنا نريد اليوم ان تفصل حوادث الثورة العراقية  
واسبابها ونتائجها فهذا بحث تاريخي مستقل نرجئه الى  
حين، ونكتفي الآن بقول كلمة اجمالية عن الثورة وشرح  
الدور الذي لعبه البارودي فيها

اجمع اكثر المؤرخين على القول بان الثورة العراقية  
كانت ثورة وطنية منضوية ترجع اسبابها الى الظلم الذي  
اخنى على البلاد في أيام اسماعيل والى تدخل انجلترا وفرنسا  
في فروع الإدارة المصرية تمهيداً للاحتلال الثنائي الذي تفردت  
به انجلترا فيما بعد تحت ستار الثورة التي كانت تعمل في  
الحقيقة على ازالة أسبابه واجتثاث أصوله

وقد بدأ احرار المصريين في اواخر حكم اسماعيل واول  
حكم توفيق يطلبون صراحة العدل والدستور لخلاص البلاد

مما هي فيه ، وانضم البارودي من أول الامر الى زعماء الحركة  
 وكان من مشجعيها سرا . روي المرحوم عرابي باشا في أوراق  
 لم تنشر بعد أنه في سنة ١٨٧٩ على أثر حادثة المالية التي دبرها  
 اسماعيل واراد أن يلصق تبعثها بمحمد بك النادي وعلى  
 الروبي واحمد عرابي دعاهم رئيس التشريعات عبدالقادر باشا  
 حامي فتفاهموا معه ثم دعاهم محمود باشا البارودي وكان وقتئذ  
 مأمور الضبطية قصار حوه القول . وهنا قال عرابي بالنص  
 عن محمود سامي : « وآتست فيه تأفقا من الظلم وميلا الى  
 العدل والدستور »

أجل ، كانت هذه النفس الالينة تكره الظلم وتأبي  
 الصبر على من الهوان . ولقد أشرنا في مقال سابق الى  
 القصيدة التي شكا فيها ظلم الحكم . ولما صعد الأمير محمد  
 توفيق الى العرش هنأه بقصيدة قال فيها :

أمر أن ما اجتماعا لقائد أمة      الإخني بهما ثمار السؤدد  
 « جمع » يكون الامر فيما بينهم

شورى و « جند » للعدو بمرصد

أراد « بالجمع » مجلس النواب و « بالجند » الجيش —

وهذا واضح . فانظر الى شجاعة الشاعر واخلاصه لوطنه  
 كيف دفعا في ذلك الزمن غير المأمون الى المجاهرة بتلك  
 الحقيقة الكبرى وسط التهينة والمدح ، والبارودي هو خير



من نخلص أغراض العراقيين في بيت من الشعر ، وهل  
هناك دواء أتجمع من مجلس يحكم البلاد وجيش يحميها؟ وهل  
هناك وسيلتان أخريان لتحقيق الثورة السلمية الاصلاحية  
المنظمة التي كانت البلاد بحاجة اليها؟

وقد عين الخديو توفيق في أوائل حكمه محمود سامي  
وزيراً للاوقاف المصرية فسعى جهده في اصلاحها ويقال انه  
كان في هذا الوقت يشجع الحزب الوطني سراً مع ان  
القوى العاملة لهذا الحزب كانت في الجيش حيث استحكم  
العداء بين المصريين والعنصر التركي الشركسي الذي ينتمي  
اليه البارودي . وهذا يدل علي حب العدل الذي بنى عليه  
سنيما وانه من عائلة قديمة في الديار المصرية

ولما حدثت المظاهرة العسكرية الاولى ضد عثمان  
رفق الشركسي ناظر الجهادية وطلب عرابي من الخديو  
توفيق عزله أجابه الخديو الي طلبه وأحال عهدة هذه النظارة  
الي محمود سامي الذي أصبح ناظر الجهادية والاوقاف معاً  
روى محمود باشا فهمي المهندس في كتاب البحر الزاخر  
أن عرابي وعلي فهمي وعبد العال « اعتبروا اجابة طلبهم  
مكيدة بهم من الحكومة لتسكين جأشهم ثم تحتال عليهم  
وتغتالهم وما كانوا يعتقدون فيما يعظمهم به محمود سامي من  
الاقوال وتهيد الاخوال واضطرب حالهم وشرعوا في عقد

مجانس سرية واحتفالات وجمعيات ليلية «  
أعتقد ان محمود فهمي لم يقل في هذا الوطن الاحقا .  
ويجب علينا من الآن أن نبين الصفة البارزة في خلق  
البارودي وهي الاعتدال ، وان كان المعتدل قد يتطرف أو  
يتهور في بعض ازمان الثورة . وأريد بالاعتدال هذا الخلق  
المهادي الذي يجمع بين الرزانة والروية والحكمة . ولقد جمع  
البارودي بين الاعتدال والذكاء ، وكان أنبه الغرايين  
فاشترك في الحركة ولم يزه حمله . ولم يلعب فيها دور شاعر  
وانما قال فيها الشعر منفردا قول بالك على فنن في غسق  
الدجى بعد ان غرد في فجر النهضة تغريدة أو تغريدتين .  
ولم يلعب دور زعيم يخطب في الجماهير ، وانما كان رجلا وزارا  
وسياسة يرقب الحوادث من كئيب ويعمل على شياستها  
حتى اذا رآها جمحت بالبلاد فولية انزوي في ضيعته وكان  
أقلمهم تبعه

وقد اجتهد البارودي في اصلاح « الجهادية » المختلة  
فطالب الى رئيس الوزارة رياض باشا زيادة مراتب الضباط  
والعساكر وتعديل النظمات والقوانين العسكرية . وقد  
وقع الخديو توفيق على هذا الطلب في ١٢ ابريل سنة ١٨٨١  
ففرح الناس وأقام محمود سامي احتفالا دعا اليه النظار  
والفتشين وكان يوما عظيما خطب فيه رياض ومحمود سامي



واحمد عرابي وأثنوا على الخديوي

وفي ٢٥ يوايه من هذه السنة بينما كان الخديوي مصيفا  
في الاسكندرية صدمت عربة أحد التجار جنديا فقتل لساعته  
فحملة رفقائه الى سراي رأس التين وطلبوا الى الخديوي  
النظر في أمره فهاجه ذلك وأمر بعقد مجلس حربي حكم عليهم  
بالاشغال الشاقة أو بالنفي الى السودان فشكا عبد العال حامي  
أميرالاي السودانية من قسوة الحكم وعرض محمود سامي  
تلك الشكوي على الخديو فشق ذلك عليه واعتقد أن محمود  
سامي كان يعمل باتفاق مع العرايين فدعا في الحال النظار  
من القاهرة الى الاسكندرية وقدم البارودي استعفاه  
وعين مكانه داود يكن ابن عم الخديوي

والراجع أن الذي دفع محمود سامي الى عرض هذه الشكوي  
هو اعتقاده عدالتها ولكن يظهر أن ذوي الاغراض القوا من  
الدسائس في حقه عند الخديو ، وقد أشار الى ذلك بقوله :  
تقموا على حميتي فتألبوا

حزبا على وأجمعوا ما أجمعوا

وسموا بفريتهم فلما صادفوا

سمعا يميل الى الملام توسعوا

لا غيب في سوي حمية ماجد

والسيف يغلبه المضاء فيقطع

ويقال أن هذا مبدأ العداوة بين الخديو ومحمود سامي  
ومبدأ التحالف بين عرابي ومحمود سامي

ثم عاد النظر الى القاهرة وانتظمت الامور في الظاهر،  
وعاد اليها الخديوى في شهر سبتمبر وسرعان ما أصدر  
داود يكن أمرا الى آلاى القلعة بالتوجه الى الاسكندرية  
وآلاى الاسكندرية بالحضور الى العاصمة فتوجس عرابي  
خيفة وفهم ان المقصود تفريق كلمتهم هو وأعوانه . روي  
محمود فهمى بالنص : « لما استعفى محمود سامي من نظارة  
الجهادية وتوجه الى منزله في القاهرة توجه اليه أحمد عرابي  
سرا في الليل وتعاهد معه على مساعدته ومعاضدته ، هذا  
قول عرابي لى والا فاناما كنت أعرف هذا ، ولما استوثق  
عرابي من معاضدة محمود سامي له ، عاد الى منزله وتوجه  
في صباح ثانى يوم الى العباسية وأتى اليه طلبه عصمت يث  
له ما وقع فيه فخاطب في الحال عرابي الا لايات في كونهم  
يستعدون للحضور في ميدان عابدين » .

هذه الرواية من الاهمية بمكان لان هذه الفترة هي أول  
عصر الثورة ولا بد أن يكون عرابي قد استوثق أولا  
من تأييد محمود سامي وبعض كبار الوطنيين له قبل كتابته  
الى الخديوى والى نظارة الجهادية يخبرهم « ان الجيش سيحضر  
الى سراي عابدين بخصوص طلبات عادلة تتمنى باصلاح



البلاد » فان هذه الطلبات أصبحت قومية لا محدودة كما كان الامر من قبل ، لذلك لقيت تأييدا من الشعب وبدأت الثورة التي ترمي الى الاصلاح العام

وقد اجتمعت الآلات في عابدين - كما هو معلوم - في ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ وطلب عرابي باسم الجيش الذي هو قوة الامة التنفيذية « اسقاط الوزارة وتشكيل مجلس نواب وزيادة عدد الجيش » فتردد الخديوى ثم عين شريفا رئيس الوزارة مكان رياض الذي كان مكروها ، ولم يقبل شريف الا بعد أن تعهد له رؤساء الحزب العسكري باطاعة أوامره وقدم له عمدا البلاد ضمانا ، ودعى محمود سامي لتقلد وزارة الجهادية فاجاب « بانه عقد النية على أن لا يتقلد خدمة من خدمات الحكومة مادام لرجال العسكرية سلطان يعلو سلطان القانون » ولكنه قبل بعد الحاح

وقد اطلعنا على أوراق للمرحوم الشيخ محمد عبده يعجب فيها من خطة شريف « الذي كان من مدبرى الحركة » ولا شك أن القارئ يعجب أيضا من خطة محمود سامي المتناقضة في الظاهر ، وأغلب ظنى أن هذين الوزيرين ، سيما محمود سامي ، هما من المعتدلين الذين يعملون لمصلحة بلادهم ولكنهم يخشون دائما أن تغل يدهم سكرة العسكر أو أن تخرج الثورة من دائرتها السامية القانونية في ظروف دقيقة للغاية

فيجد الخصم وسيلة للقضاء على نجاحها المبدئي . سيما وأن المطالب الأساسية كانت أجيبت أو كادت ، وباستغلالها في الدائرة القانونية يمكن الاحتيال والوصول الى أبعد غاية . وقد كان « مانان » نطل البندقية وحاميتها في الثورة الإيطالية من أكبر أنصار هذه الفكرة .

وهذا هو السبب الذي من أجله ألح شريف ومحمود سامي على عرابي بالسفر بالآلية الى رأس الوادي في مديرية الشرقية وعلي عبد العال حلمي الى دمياط . ومن حسنات عرابي أنه أبي أن ينتقل قبل أن يصدر أمر بتشكيل مجلس النواب . وكان الاختفال بتوديعه فاتحة المظاهرات والاتصال بين عرابي والجمهور ، واشتراك الجمهور في الثورة اشتراكا فعليا .

ولكن عرابي بعد استقراره في رأس الوادي شرع يجول في أنحاء المديرية ويخطب فيها فدماه محمود سامي وجعابه وكيلا لنظارة الجهادية .

وفي ٢٢ سبتمبر صدق الخديوي على القوانين العسكرية وفي ٤ أكتوبر اعتمد لائحة مجلس النواب الذي تم انتخاب أعضائه في ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٨١ وكان مؤلفا من اثنين وثمانين عضوا تحت رئاسة سلطان باشا ، وكان من الممكن أن تسير الأمور بانتظام لو لم يكن أعداؤنا بمرصدين سون



بين هذا وذاك. ويحرضون هذا على ذلك، ويحركون المطامع والشهوات حتى وجدوا بفضل داء الشخصيات الذي ينغل في جسم الأمة الى اليوم فرجة توصلوا بها الى كبد البلاد فطعنوها في الصميم

وما صدق الخديوي توفيق من مبدأ الحركة الى منتهاها على جميع الاجراءات والمطالب الا على غير رغبته وكان للسراي حزب، وكان العرايون منقسمين - ولا أقصد هنا ذم فريق - الى متطرفين أمثال عرابي وطلبة وعبد العال وعبد الله نديم، ومعتدلين أمثال عبد السلام المويلحي ومحمود سامي، برغما من جميع الظواهر، وغيرهما. لذلك كان الخصم آتينا مطمئنا لم يزعمه انعقاد مجلس النواب لعلمه ان فرص الخلاف كثيرة وأنه سيصرف كيف يستفيد منها ويحول بين المصريين وبين التمتع بمجلس النواب الذي هو عمود الثورة السامية المنظمة

وفي ٢ يناير سنة ١٨٨٢ قدم شريف باشا الى مجلس النواب اللائحة الأساسية الجديدة التي أعدها له، وبعد فحصها وقع خلاف بين النواب والنظار بشأن المواد المتعلقة بالميزانية وكان سلطان باشا وبعض النواب يؤيدون شريف فتدخل وكيل فرنسا وانجلترا معارضين في حق مجلس النواب في تقرير الميزانية فكان تداخلهما مثيرا للشكوك

داعيا لاستحكام الخلاف ، وانتهى الامر باستعفاء شريف  
باشا وتأليف وزارة برئاسة محمود سامي البارودي ، وجعل  
احمد عرابي وزير اللجهادية فسر الحزب الوطني بهذا الانتصار  
ووردت التهنئات من كل صوب ، واعتبرت هذه أول  
وزارة وطنية مصرية ينتمى رئيسها الى حزب الثورة

وقد ملك محمود سامي وقتئذ أعناق المطالب وكان مملكا  
على عرش القلوب ، وكان في بيته كوكب سعد ولكن الدهر  
مالبت ان أطلع في جوانبه للنحس خمسا . على ان شاعرنا  
وهو البصير الهاديء الذكاء لم يكن ممن يلهيه سكر الانتصار  
عن الحقائق الراهنة . واليك الدليل :

في يوم الاربعاء ٨ فبراير ذهب محمود سامي الى مجلس  
النواب ومعه اللائحة بعد أن صدق عليها مجلس النظار  
فقبول بالشكر والتبجيل ، ثم وقف محمود سامي خطيبا في  
المجلس فقال خطبة هامة اثرنا عليها في مذكرات المرحوم  
عرابي باشا :

« أيها السادة النواب إني سعيد الطالع بحضورى  
بينكم حاملا الى حضراتكم القانون الأساسى .....  
« الا اثنى أعلم كما تعلمون أن مجرد وضع القانون على  
أصول الحرية وقواعد العدالة لا يكفي في وصولنا الى الغاية  
المقصودة من اجتماع حضراتكم بل لا بد أن ينضم الى ذلك



مخلوص النية من كل واحد منكم في المحافظة على حدود هذا ( القانون ) ودقة النظر في الوقوف عندها بحيث تكون جميع الأعمال والأفكار منحصرة في دوائرها . وقد قال عقلاء السياسيين ان الوصول الى هذا النوع من الكمال أعنى حصر جزئيات الأعمال وكلياتها ( في دائرة القانون ) انما ينال بعد العناء وطول التجارب ولكنى لا أعد هذا صعبا عليكم

« وفي أملى أنكم مستحقون ما يظن أحياء البلاد فيكم عند ما يتبدئون في الأعمال المهمة التي تهياثم الآن لمباشرتها بأن تستعملوا صادق النظر للوقوف على ما فيه خير بلادكم وتوجهوا الى ذلك ماضى الهنم حتى لا يضيع الزمن الطويل في الحصول على فائدة قليلة وهذا لا يكون الا بتخليص الأفكار وتمحيص الطوايا من شوائب النزعات الشخصية بأن نجعل الأعمال وفقا على المصالح العمومية التي نفعها في الحقيقة مائد عليكم وعلى أبنائكم

« ان التفات النظر الى الخصوصيات يبعث في القلوب محاسبات ومناظرات تحمل على الخلاف الدائم وانكم تعلمون أن الذين رفقوا الى ذروة العز وأوج الشرف لم ينالوا ذلك الا باخلاصهم في طلب النفع العام فاعترف العالم بفضلتهم وأجلتهم القلوب وأحلتهم أعلى المنازل فثبتوا في

مكانهم ماداموا بحلية الاخلاص .

ثم ختم فائلا : « وآخروا متواصي به أن لا نجعل للتعصب  
المشربي دخلا في الاعمال الوطنية التي كلفتكم البلاد أن  
تقوموا بادائها وان تكون الوطنية الحقيقية هي الباعث  
القوى على كل فكر والغاية القصوى من كل قول وعمل » .  
هذه خطبة أخلق بها أن تكتب بماء الذهب فهي صريحة .  
اخلاص في ساعة الخطر تشف عن جوى باطن وداء دخيل .  
وسرعان ما سعت إنجلترا وفرنسا في خلق الارتباك  
وتعقيد الأمور للقضاء على الثورة والاستيلاء على مصر  
وقد بلغ عرابي أن طائفة من ضباط الشركس يعملون على  
الكيد له فعقد مجلسا حريا وقررنفهم إلى الاقطار  
السودانية فعارض الخديوى وتصلب عرابي وكان هذا مبدأ  
دخول الثورة السامية في طريق العنف والاضطراب  
والارتباك التي لعبت إنجلترا تحت ستارها دورا كبيرا ختمته  
بأساة ضرب الاسكندرية ، فان إنجلترا وسعت الخلاف  
بين الخديوى والعرايين فدعا الخديوى فحصل إنجلترا  
وفرنسا . وقال لهما ان حياه الاوربيين على خطر فانزعج  
القنصلان وذهبا الى رئيس الوزارة محمود سامي وناظر  
الحرية أحمد عرابي فأكد لهما أن لا خوف من ذلك  
في هذه الساعة انفلت « عيار » الثورة وجمحت .

الحوادث عجلى ، وكثرت المجالس الليلية والاجتماعات ووطن  
الناس انظنون . وبينما كان بعضهم يعمل على رقع الخرق  
قبل أن يتسع وردت أنباء مجيء الاساطيل الى المياه  
المصرية ، وارسال الدولتين بلاغا ثانيا الى الخديوي تقولان  
فيه « انهما موطنانه ومعضدانه ومتبئانه على الاركة  
الخديوية » فوقع هذا البلاغ في القاهرة ، كما يقول السير  
مورلى ، كالتنبه له ، ثم عقباه ببلاغ اخر ، بالاتحاد مع سلطان  
باشا رئيس مجلس النواب ، تطلبان فيه اسقاط الوزارة  
واخرج عرابى من القطر المصرى فلم تقبله الوزارة وقبله  
الخديوى الذى كان جل اعتماده على انجلترا ، وبناء عليه  
استعفت الوزارة ، وكان ذلك فى ٢٦ مايو سنة ١٨٨٢

ويظهر أن محمود سامى أحس وقتئذ الخطر الذى يهدد  
البلاد وعجزه عن تقويم الامور فعاد الى ضيعته وبقى فيها  
حتى دعاه عرابى الى قيادة فرقة الضاحية فى الحرب التى  
أرغمت انجلترا البلاد عليها

ولا ريب أن البارودى رجع الى مزارعه مترع القلب  
بالاسى . فلما رأى خلاء ومنظرا هتف بالشعر ليسرى عن  
نفسه . ولعله نظم فى هذه الفترة القصيدة التى تقتطف  
منها ما يأتى :

كنا نود انقلابا نستريح به      حتى اذا تم ساءتنا مصائره



فألقب مضطرب فيما يحاوله      والعقل مختبل مما يحاذره  
 أن دام هذا أضعاف الرشد كافله      فيما أرى وأطاع الغنى زاجره  
 تنكرت مصر بعد العرف واضطربت

قواعد الملك حتى ريع طائره  
 فأهمل الأرض جرى الظلم حارثها

واسترجع المال خوف العدم تاجره  
 واستحكم الهول حتى ما يبيت قتي

في جوشن الليل إلا وهو ساهره  
 أني أرى أنفسا ضاقت بما حملت

وسوف يشهر حد السيف شاهره  
 شهران أو بعض شهر أن هي احتدمت

وفي الجديدين ما تغنى فواقره  
 فإن أصبت فعن رأى ملكك به

علم الغيوب . ورأى المرء ناظره  
 كان الرومان يسمون الشاعر Vates وهو الذي يملك

بالرأى علم الغيوب . وقد يتفق ذلك كثيرا للشعراء لما امتازوا  
 به من فطنة والهام . وهذا ما حصل للبارودي فانه كان ينصح

مواطنيه بالعمل على اجتناب الحرب وإن كان يعلم اليقين  
 أن البلاد مدفوعة اليها طوعا أو كرها وأنه لا ينفع الحذر .

وقد أنجاد البارودي في البيت الثاني تصوير هذه الحالة النفسية

كما أجاد تصوير نفسيته حين جاءه وهو في سيلان خبر العفو  
عنه فقال :

أحس في قلبي ديب المنى والملح الشبهة في خاطري  
وهذان البيتان من أدق الشعر وهما خير ماء تخدم من  
غمام واحد

ثم انظر من أي بحر يغترف حين يقول بعد انتهاء الحرب -  
وان كان الديوان خلوا من أي إشارة الى موضوع الايات :  
نصحت فكذبتم فلما أتى الردى

عمدتم لتصديقي وقد قضى الامر

فلم يبق في ايديكم غير حسرة ولم يبق مني غير ما عافاه الصدر  
فجاء الذي كنتم تخافون شره وزال الذي لم يبق من بعده شعر  
هذا شعر ينضح بمرارة العيش التي يقاسيها مغترب  
في منفاه بعد أن قضى الامر وضاعت الديار . ومن كياسة  
البارودي وصدق وطنيته انه لم يطعن الثورة في ظهرها بعد  
فشلها . كما فعل الكثيرون . ولم يأس على المال ومتاع الدنيا  
وظل كرم العنصر :

لم اقترف زلة تقضى على بما

أصبحت فيه فاذا الويل والحرب

فهل دفاعي عن ديني وعن وطني

ذنب ادان به ظلما واغترب

فلا يظن بي الحساد مندمة فاني صابر في الله محتسب  
 أثريت مجدا فلم اعبأ بما سلبت  
 أبدى الحوادث مني فهو مكتسب  
 لا يخفض البؤس نفسا وهي عالية

ولا يشيد بذكر الخامل النشب  
 الست تحس كأن هذا الشعر من قول المتنبي أو أبي العلاء  
 وان روح الشاعر «تطورت» في كهولته، ثم انظر الى الحكمة  
 في شعر صباه وقد كانت بنت الذكاء والتحصيل . وانظر اليها  
 الآن وقد شيب الدهر فوديتها واصبحت بنت التجارب والالم  
 فانت ترى من كل ما تقدم ان البارودي لعب في الثورة  
 العرابية دورا كبيرا نصحبه الحكمة والاعتدال في معظم أطوارها  
 وترك حباها على غاربها حين أحس ريحا عاتية تسوق البلاد  
 الى الحرب . ثم رجع الى الصف فلم توفقه المقادير . وذهب  
 الى منفاه الذي جمع الاسى واقتدح زناد فكره . فقال شعرا  
 كثيراً أعاد به الى البلاد عصر الادب الازهر .





## المنفى

أرأيت مخضرا من الروض كان مسرحا للشباب ترف  
عليه الغضارة والنضارة ، وكان ساكنوه يقامرون الدهر  
فوق ذلك البساط الاخضر ، والدهر مبتسم يليهم يعاجل  
الريح عن أجل الخسران ، حتى قرعهم فجاءة ودالت دولة السرور  
وهبت النكباء وغاض ماء التعميم ، وطوى البساط وجفت  
الاقداح وخرج كل منهم خاشعا وسليبا

كان محمود سامي من أولئك النفر الذين تبسطوا على  
لذات الشباب زمانا بين الجزيرة والروضة وذاقوا حلاوة  
المجد وهم في ضحوة العمر ، ثم دفعهم الطامح فقدموا الراحة  
والرفه والثروة والجاه مهرا للحرية والعلواء

أجل ، فقد محمود سامي كل شيء الا الشرف والكبرياء ،  
ومكث في منفاه سبعة عشر عاما كاملة أفنى فيها كهولته  
بين تباريح وعبرات ولوعة وحنين

نكب البارودي في الثورة حين ختله الدهر والقي  
ورقة رابحة اجتاحت المال والبلاد فكانت كهولته كلها ليلة  
داجية وكان كبيل الظلماء يردف تغريدا بغريد ، ويقول  
شعرا هو أنس المحزون ، وعزاء التكالى ، وسلوة العاشق . شعرا

يلهم الصبر على المكاره. والجلاد على الشدائد، والامل في الله..  
وهو القائل :

فان اكن جردت من ثروتي      ففضل ربي حلية العاقل  
ولقد كانت الايام التي ختمت بها الثورة وسبقت  
منفاه مأساة تتصدع منها كبدا الحرو وتذهب النفس حشرات.  
تلك أيام مملوءة بالذكريات المحزنات التي تهيج في سماء الفكر  
كانها أغربة سحيم مستنفرة

وحسبك ان تذكر أن بعض المصريين رحبوا جهلاً  
أو انخداعاً « بدخول الفاتحين » وان حب الانتقام دفع بعض  
الكبراء الى ارسال الخدم الشر كس وغيرهم ليهينوا ويزعجوا  
زعماء الثورة في سجونهم صباح مساء والى تنى الموت لهم.  
ولعل البار دوي أشار الى ذلك في قوله وهو بمنفاه . :

وما أنا بالمغلوب دون مرأته      ولكنه قد يخذل المرء جهده.  
ابى الدهر الا أن يسود وضعفه

ويملك أعناق المطالب وغده

تداعت لدرك النار فينا ثعاله

ونامت على طول الوتيرة أسده

وقد كان حكم على رؤساء الثورة بالإعدام حتى قبض الله

لهم بلنت الذى أرسل برودلي ونايير للدفاع عنهم فاستبدل

الحكم في ٣ ديسمبر سنة ١٨٨٢ بالنفى المؤبد ،

ولا اخاله الا مشيرا الى ذلك بهذين البيتين المنفردتين  
الذين يقومان مقام لوحة مصورة :

الاقل اقوم شامتين تربصوا تهزم شر بالنية كارث  
أرى ستر خطب قد ترفع وانبرت .

تلوح لهم منه وجوه الحوادث  
وفي ٢٧ ديسمبر رحل قاصدا سيلان ، ومعه صحبه ،  
ودخلوا ميناءها كولومبو في ١٠ يناير سنة ١٨٨٣ ، وهناك  
أقاموا ، وقد بلغ من العمر خمسة وأربعين عاما ، وقد وصف  
شاعرنا الفراق بقصيدة « أحلى من عريسة الفجر وأعذب  
من الماء الزلال » ، قال :

محا البين ما ابقت عيون المهامني

فشبت ولم اقبض اللبابة من سنى  
عناء وياس واشتياق وغربة

ألاشد ما ألقاه في الدهر من غبن  
فان اك فارقت الديار قلبي بها

فؤاد اضلته عيون المهاعني  
بعثت به يوم النوى إثر لحظة

فاوقعه المفار في شرك الحسن  
فهل من فتى في الدهر يجمع بيننا

فليس كلانا عن أخيه بمستغن



ولما وقفنا للوداع واسبلت مدامعنا فوق الترائب كالمرن  
أهبت بصبري ان يعود فعزني

وناديت حامى أن يشوب فلم يغن  
وما هي الا خطرة ثم أقلعت

بناعن شطوط الحى اجنحة السفن  
فكم مهجة من زفرة الوجد فى لظى

وكم مقلة من غزرة الدمع فى دجن  
وما كنت جربت النوى قبل هذه

فلما دهنتى كدت اقضى من الحزن  
ولكننى راجعت حامى وردنى

الى الحزم رأى لا يحوم على افن  
ولولا بنيات وشيب عواطل

لما قرعت نفسى على فانت سني  
هذا شعر يمتزج بالروح رقة، وعندى ان أجود قصائد  
البارودى ثلاث ، هذه القصيدة التى أخلق بها ان تسمى  
قصيدة «محا البين» كما يقولون «قفانبك» و«خفف الوطء»  
وقصيدته الغزلية «هل من فتي ينشد قلبي معي»، وقصيدته  
التي قالها فى الجزيرة بعد عودته من منفاه :

هل بالجمي عن سرير الملك من نزع

هيات قد ذهب المتبوع والتبع

ومن العجيب انك لا تجد في هذه القصائد معنى  
جديدا ولا أثر من آثار النبالة والغلو، وانما هي عرائس  
مجلوة وسمها الله يميسم الجمال فغنت عن التزييق الكاذب.  
انما هي تصوير حالات نفسية ووجدان وعواطف قد يخيل  
اليك لأول وهلة انه خال من الدقة وانه من «فرشة» المصور  
لا من ريشته. ولكن حسبت من القلادة ما أحاط بالعنق  
فان هذا الشعر الحي من التصوير الصادق الذي يلعب بالنفس  
ويدخل علي القلب بلا استئذان

كلنا يعرف قول للرحوم اسماعيل باشا صبرى في  
الفراق :

هل عند ذاك السرب أنا بعده في الحى من آماقنا نتدفق  
اننى أطرب بصفتي ناقد لهذا البيت لأن فيه معنى  
جديدا، وهو من الغلو المستعذب، ولكننى بصفتي متذوقا  
لا أحبه لأنه لا يحرك عاطفتى ولاته يخاطب العقل قبل  
القلب :

ولقد كان فراق البارودى مظلما وكان منفاه مظلما اذ  
نعى اليه زوجه وأصدقائه واحدا بعد واحد ورأسه  
الشقاق دب بين رؤساء الثورة في المنفى فعاد بهم عام ١٨٩٠  
الى مدينة ككندي في جزيرة بيرنديب ( ميلان ) وكان  
هذه الظلمة وقفت في عينيه هناك وتجمدت فاق قلب حسير

الطرف في أواخر سنني متفاه ثم عاد إلى مصر فقصد ابنتيه ،  
فيا لها ظلمة أخذت تنزل في عينيه شيئاً فشيئاً من أول  
كهولته نزول الليل في الهوة العميقة حتي اتصلت بظلام  
القبر

وقد ماتت حليته سنة ١٣٠٢هـ أو سنة ١٨٨٥م ورثاها  
بقصيدة من أجود شعره جاء فيها .

لا لو عتي تدع الفؤاد ولا يدى تقوي على رد الحبيب الغادى  
يادهر فيه فجعتني بحليلة . كانت خلاصة عدتي وعتادى  
ان كنت لم ترحم صنای لبغندها

افلا رحمت من الأسي أولادي

ومن البلية أن يسام أخو الأسي

رعي التجلد وهو غير جماد

هيات بغداد أن تقر جوانحي

أسفاً لبعدك أو يلين مهادي

ولهي عليك مصاحب لمسيرتي

والدمع فيك ملازم لو سادي

فاذا انتبهت فأنت أول ذكرتي

واذا أويت فأنت آخر زادي

هذه القصيدة من النوع الذي يسميه الأفرنج

Poesie intime وهو شعر الحياة المنزلية الباطنة ، وان



إشارة البارودي الى الدمع الذي سيلازم وسأدته بعد فرقتها:  
أفضل عندي على بساطتها من دك الجبال وكسوف الشمس  
جزعا !

وقد نظم البارودي أكثر شعر المنفى في مدينة كندی.  
حيث أقام عشرة أعوام ووجد منظراً طبيعياً من أبهى  
مناظر الدنيا. وصف المرحوم عرابي باشا في مذكراته  
هذه المدينة ، قال : « وفي سنة ١٨٩٢ انتقلنا الى مدينة  
كندي عاصمة جزيرة سيلان للإقامة فيها حيث وجدنا  
مناخها في زمن الربيع جميلاً ، وكان قد سبقنا إليها بالإقامة  
محمود باشا سامي ويعقوب باشا سامي وظلبة باشا عصمت  
« ومدينة كندی كائنة في واد ذي ثلاث شعب بين ثلاثة  
جبال ، وفيها بيت للحاكم ومحكمة نظامية في بيت ملوك  
الشنجلير ، وفيها بركة عظيمة طولها ميل وعرضها من ٢٠٠  
متر الى ٤٠٠ متر تنصب فيها مجارى السيل من رؤس الجبال  
وعليها حاجز من الشمال وقنطرة يباب لصرف المياه الزائدة  
عن منسوبها ، وعلى حافتين أشجار السيجو والمنجود والدوم  
وجوز الهند ، وهي محل التزهة العمومية

« وفوق الجبل خزان للمياه المنبجسة من قمته طوله  
نصف ميل وعرضه ١٠٠ متر وعليه سد عظيم ، وفي جانبه  
الجنوبي جدول فوق سطح الخزان تنصرف فيه المياه الزائدة

وتمتد منه المواسير الموصلة الى أعلى نقطة من بيوت المدينة  
 « وهناك منزه عظيم يقال له جنينة (برادينيا) على  
 نهر برادينيا مساحتها نحو ٦٠٠ فدان وفيها من جميع أنواع  
 الشجر وكل شجرة مكتوب على لوحة بجانبها اسمها واسم  
 بلادها .

وفي كندى نحو ٢٠٠٠٠ منهم ١٠٠٠٠ من المسلمين  
 ولا ريب أن سكنى الشاعر في هذه المدينة التي جمعت  
 بين جمال المنظر وجلاله في السهل والجبل قد أثرت في نفس  
 شاعرنا وجماعته يلهم بذكر الطبيعة لهج الحمام بهديله، وقد أجد  
 له طيب المكان وحسنه منى فتمنى فكانت مصر كل أمانيه:  
 يا حبيذا جرعة من ماء محنية وضجعة فوق برد الرمل بالقاع  
 ونسمة كشيم الخلد قد حملت

ريا الأزاهر من ميث واجراع  
 ياهل أراى بذاك الحى مجتعا  
 بأهل ودى من قوى وأشياى  
 وقال من قصيدة أخرى يتشوق :  
 ردوا على الصبا من عصرى الخالى  
 وهل يعود سواد اللمة البالى  
 لم يدر من بات مسرورا بلذته  
 أنى بنار الأسى من هجره صالى

يا غاصبين، علينا هل الى عدة      بالوصل يوم أنا غنى فيه أقبالي  
 غيتم فأظلم يومى بعد فرقتكم      وساء صنع الليالى بعد اجمال  
 فاليوم لا رضى طوع القيا دولا      قلبى الى زهرة الدنيا بميال  
 أبيت منفردا فى رأس شاهقة

مثل القطاى فوق الربأ العالى  
 وقال من قضيدة « كشف الغمة فى مدح سيد الأئمة »  
 أدعو الى الدار بالسقيا وبى ظمأ      أحق بالرى لكنى أخو كرم  
 منازل لهواها بين جانحي      وديعة سرها لم يتصل بفسى  
 اذا تنسمت منها نفحة لعبت      بى الصبا به لعب الريح بالعلم  
 لا شك أن الشاعر فى البيت الثانى يشير الى حب  
 مكم فتق قلبه فى شباب عليه نضرة ونعيم كما يفتق برد  
 الذى وردة الروض النضير ، فسار شعره مسير النسيم فى  
 الجنان يضوع رباها . والراجح أن حبه لم يزد عن ذلك الحب  
 الذى قال عنه « لا مرتين » انه نشأ عن نظرة حزت فى كبده  
 فشب وكبر وهى باقية فيها كالمدينة التى يتركها عابرا - بيل فى  
 جذع الشجرة ، فما كان أشد لوعته ، وما كان اكبر ألمه .

فلا تسأني عثر هواي فاني  
 وربك أدري كيف زلت بي النمل  
 فما هي الا أن نظرت فجاءة  
 (بحلوان) حيث انهار وانعقد الرمل



الى نسوة مثل الجمان تناسقت فرائده حسنا وألفه الشمل  
تكنفن تمثالا من الحسن رأئما يحن جنونا عند رؤيته العقل  
فكان الذي لولاه مادرت هائما

أرود الفيافي لاصديق ولا خل  
قد تكون ( حلوان ) أصل حب ذلك الرجل العفيف  
النفس ، وقد يكون كل حبه في هذه النظرة أو ذكراها التي  
عاودته وهاجت بلباله وحنينه وشجنه في سرنديب فقال  
أبيت حزينا في سرنديب ساهرا

طوال الليالي والخليلون هجد  
إذا خطرت من نحو ( حلوان ) نسمة  
نرت بين قلبي شمعة تتوقد  
وهيهات ما بعد الشيبية موسم

يطيب ولا بعد ( الجزيرة ) معبد  
شباب واخوان رزئت ودادم

وكل امريء في الدهر يشقى ويسعد  
هذه الايات وازن أرقى أيات الاغانى أو ديوان  
الحماسة يعلو النفس الشعري وصدق النزعة وصفاء الروح  
وقل أن يوفق لتبها شاعر عصري يعيش في جو المدنية  
الحديثة الذي يتعذر على روح الشاعر أن تنطلق فيه حرة  
بريئة من كل صنعة . ومن أرق شعره في الغزل قصيدته

التي أولها .

غلب الوجد عليه فيكى وتولى الصبر عنه فشكا  
والقصيدة التي مطلعها :

لوى جيده وانصرف

فما ضره لو عطف

كان الحب من العواطف التي تتجاذب نفسه ، ولا  
يظن أحد أن البارودي مازال مضطرباً في أمه حتى استقر  
في منفاه فان نفسه من النفوس الكبيرة الوثابة التي لا  
يقعد بها يأس أو جزع . والتي يتعب في مرادها الحسم سيما  
إذا كان أسيراً :

عفاء على الدنيا إذا المرء لم يعيش

بها بطلا يحى الحقيقة شدة

واني أمرؤ لا استكين لصولة

وان شد ساقى دون مسعى قد

أبت لي حمل الضيم نفس أية

وقلب إذا سيم الأذى شب وقده

ثم انظر كيف تفتح همته التي لا تهدأ باب الامل

المعلق حين يقول في نفس القصيدة :

ولا يدمن يوم تلاعب بالقنا

أسود الوغى فيه وتمرح جرده

قلوب الرجال المستبدة أكله

وقيض الدماء المستهلة وردة

أحمل صدر النصل فيه بريرة

تعبد لأمر لا يحاول رده

في هذه الايات صور البارودي نفسه التي لا ينال

منها أسرى عانيه . بل ولا ضعف لحق بجسمه ولا مشيب :

اني وان كانت الايام قد أخذت

منى وأخنى على الضعف والشمط

فقد أذود السبتي عن فريسته

واجباً البطل الحامي فاخبط

وقد يتعجب القاريء من قوله أيضاً في قصيدة .

تالله أهدأ أو تقوم قيامه

فيها الدماء على الدماء تراق

ولكن العجب لا يلبث أن يزول اذا تذكرنا أن

النفوس الكبار لا تهدأ لها تائفة إلا اذا جاءها الموت

وأنام أصحابها بعنف فناموا

وهناك عاطفة أخرى تجلت في شعر البارودي ولا

شك أن المتقى كن سببا في تقويتها وتمييزها هي العاطفة

الدينية . ولقد كن شاعرنا في سرنديب يعلم كثيراً من

المسلمين القراءة والكتابة ويعظ ويخطب في الجوامع .



وقد نظم هناك قصيدة « كشف الغمة » التي توصل بها  
الى الله ليغفو عنه ويفرج كربيه . ونظم قصيدة أخرى مدح  
فيها الرسول ومما قاله .

أنا الذي بت من وجدى بروضته

أحن شوقا كطير البانة المزعج

هاجت بذ كراه نفسي فاكتست ولها

وأى صب بذ كر الشوق لم يهج

ويظهر أن العاطفة الدينية تمكنت من نفسه حتى

دفعتها الى التفكير في أمر الوجود وحقيقة الكون وساعدها

على ذلك قلب الدنيا على عينيه . وتبدل صدقها كذبا .

يشهد بذلك قصيدة عثرنا عليها في ديوانه يقول فيها .

سل الفلك الدوار ان كان ينطق

وكيف يحير القول اخرس مطرق

نسائله عن شأنه وهو صامت

ويخبر ما في نفسه وهو مطبق

فلا سره يبذرو ولا نحن نرعى

ولا شأنه يدنو ولا نحن نلحق

ومن بديع التصوير في هذه القصيدة قوله

قضاء يرد العين حسرى ومسرح

يقص جناح الفكر وهو محلق

ولا يفوتنا أن نقول ان من دقق النظر في شعر البارودي  
وجد فيه نزعة المصور الماهر . أنظر الى قوله في الشيب .  
أخلق الشيب جدتي وكساني خلعة منه رثة الجلباب  
ولوي شعر حاجبي على عيني حتى أظل كالهداب  
وقوله .

ورب يوم طويل العمر قصره  
جري السوابق والوخادة النشط  
تري به القوم صرعى لا جراك بهم  
كأنهم من عتيق الحمر قد سقطوا  
وللفواخت في نأفنانها هزج  
قدماج من لجنهن السهل والفرط  
خضر الجناجن والاطواق تحسبها  
اطفال ملك لها من سندس قط

ومن أراد البكثير فليتصفح ديوانه فكله غرر وآيات  
وعبر . ونرجوا أن نكون وفيناه بعض حقه  
وقد عاد البارودي من منفاه الى مصر سنة ١٩٠٠ :  
ويقال أن المرحوم الشيخ محمد عبده هو الذي توسط له  
في العفو عند الخديو . وسنتكلم في الفصل الآتي عن  
شعره في آخر أيامه بعد أن دار الفلك دورته . وتبدلت  
الحال حالا

## آخر أيامه

٣

قضى البارودى فى مصر أربعة أعوام من سنة ١٩٠٠ لغاية سنة ١٩٠٤ أو من ٦ جمادى الأولى سنة ١٣١٨ لغاية ٦ شوال سنة ١٣٢٢ وقد كان أهداره فى آخر سنه من منفاه إلى القبر مثل أهدار الشمس عند المغيب فى رؤوس الجبال وقد أعارتها الطبيعة كل ما حوته من روعة وجلال .

ويخيل إلى أن نفسه الواسعة ذات الطول والعرض كانت مملوءة بالسكون المهيّب الذى يحيط بأعلى الذرى وكان الشاعر يشرف منها على الماضى المعتد فلا يرى حوله من كل النواحي إلا خرائب وطلولا

ولا يغرك ما قاله متغزلا حين « أطل على ربوع مصر وسر بروية أهلها » :

أبا بل رأي العين أم هذه مصر  
فنى أرى فيها عيوننا هي السحر  
نواعين أيقظن الهوى بلاوا حظ  
تدين لنا بالفتك البيض والسمر  
فان يك موسى أطل السحر مرة  
فذلك عصر المعجزات وذا عصر



فأي فؤاد لا يذوب صباية      ومزقة عين لا يصبوب لها قطر  
بنفسى وإن عزت على ريبية      من العين فى أجفان مقلتها قطر  
فتاة يرف البدر تحت قناعها

ويخطر فى إرادها الغصن النضر  
ترينك جمان القطر فى اقحوانة

مفلجة الاطراف قيل لها آخر  
والقصيدة كلها على هذا الباطن خالية من الروح الشعرية  
التي امتاز بها البارودي وهي من الشعر الفار الذي يتمخض  
عنه التكلف ، وكذلك شأن القصيدة الأخرى التي قالها  
شاكرا الخديو عباس على تعطفاته

عباس ياخير الملوك عدالة      وأجل من نطق امرؤ بثنائه  
أوليتنى منك الرضا وجلوت لى      وجها قرأت البشر فى أثنائه  
وقد اشتهر البيت الأخير من هذه القصيدة :

لاغروا ان جمع المحامد يافعا      وسما بهجته على نظرائه  
فالعزيز وهي صغيرة فى حجمها      تسع الفضاء بأرضه وسماؤه  
على ان هذا البيت ان هو الا أثر من آثار الصنعة  
العالية ، فاما أن تكون الروح الشعرية قد نضب معينها فى  
آخر العمر فلم تبق للشاعر الا صنعته يحتال بها على صوغ  
القريض ويستتر بها مالحق شاعريته من ضعف أو وهن كما  
تستر الحسناء آثار المشيب فى غصن الوجه تحت الألوان

## والطلاء

واما أن تكون شاعرية الرجل مازالت في نضرتها  
ولكنها عصيته حين دعاها سيما وان البارودي قال ما قاله قياما  
بالواجب نحو عليك عفا عنه ثم أصدر أمره « بتمتعه  
بالحقوق المدنية » وبلاد رآها بعد ن عاش غريبا عنها سبعة  
عشر عاما

وهذا الفرض الثاني هو عندي أقرب الى الصحة لأن  
البارودي كان شاعرا مطبوعا غذي بأداب العرب والفرس  
والترك ، ومثل هذا الطبع يخيل اليك أحيانا أن العمر يجففه  
ولكنه لا يلبث أن يتفجر بالماء الزلال

يدل على ذلك قصيدته العينية التي ثبت لنا أن البارودي  
قالها في الجزيرة بعد رجوعه من منفاه اذ كتب تأقدا المنار  
ولعله المرحوم الأديب السيد حسين رضا - في عدد ٧  
يناير سنة ١٩٠٥ فصلا يتبين منه أن الكاتب كان من الصق  
الناس بالبارودي في آخر أيامه ، روى الكاتب : « ومر  
بقصر الجزيرة بعد غودته من سيلان فتذكر أيام اسماعيل  
ونظم معتبرا ومذكرا » :

هل بالحى عن سرير الملك من يزع  
هيات قد ذهب المتبوع والتبع  
هذى (الجزيرة) فانظر هل ترى أحدا  
ينأى به الخوف أو يدنو به الطمع

أضحت خلاء وكانت قل منزلة  
للألك منها لو فد العز مرتبع  
فلا مجيب يرد القول عن نبأ  
ولا سميع اذا ناديت يستمع  
كانت منازل أملك اذا صدعوا  
بالأمر كادت قلوب الناس تنصدع  
عاثوا بها حقبة حتى اذا نهضت  
طير الحوادث من أوكارها وقعوا  
لو انهم علموا مقدار ما فغرت  
به الحوادث ماشادوا ولا دفعوا  
دارت عليهم رحي الأيام فانشعبا  
أيدي سبا وتخلت عنهم الشيع  
كانت لهم عصب يستدفعون بها  
كيد العدو فما ضرروا ولا نفعا  
أين المعاقبل بل اين الجحافل بل  
أين المناصل والخطية الشرع  
لا شيء يدفع كيد الدهر ان عصفت  
أحداثه أو يقى من شر ما يقع  
زالوا فما يكت الدنيا لفرقهم  
ولا تعطلت الاعياد والجمع  
والدهر كالبحر لا ينفك ذ كدر  
واتمبا صفوه بين الورى لم



لو كانت للمرء فكر في عواقبه  
 ماشارف أخلاقه حرص ولا تطمع  
 وكيف يدرك ما في الغيب من حدث  
 من لم يزل يغرور العيش ينخدع  
 دهر يغر وآمال تسر وأعد  
 حار تمر وأيام لها خدع  
 يسعى الفتى لأمر قد تضر به  
 وليس يعلم ما يأتي وما يدع  
 يأبها السادر المزور من صلف  
 مهلا فانك بالأيام منخدع  
 دع ما يزيب وخذ فيما خلقت له  
 لعل قلبك بالإيمان ينتفع  
 ان الحياة لثوب سوف تخلعه  
 وكل ثوب اذا مارث ينخلع  
 وقد عاق كاتب النار على القصيدة قائلا «فهذه القصيدة  
 من آخر ما نظم ، وفيها من آيات النذر للمغرورين بكثرة  
 المال والدثر . . . »

تلك قصيدة من أجود شعر البارودي ، وهي دمة  
 وفاء على أيام اسماعيل التي كانت أيام صباه ، وهي من الشعر  
 الحى الذي يستمد قوته من الذكرى ، وهي بكاء على الحال  
 التى آلت إليها البلاد بعد عودته اليها ورويته المحتل ضاربا

يجرانه في نواحيها، ولا ريب أن الألم الصامت كان في  
فؤاده كالجرنحت الرماد قلم يصرح عنه مقالته وأشد الألم  
ما كان مكتوماً،

وقد أخبرني السيد رشيد رضا أن البارودي كان يزوره  
أحياناً بعد العودة وأنه سأل مراراً الشيخ محمد عبده عن  
سيخلف السيد جمال الدين بعده

وتدل قصيدته في الجزيرة على أن الرجل كان ثاقب  
الفكر لا تعوقه الظواهر عن رؤية أبعاد البواطن فلم  
تغره الرفاهية المادية التي غرت بعض العرايين بعد رجوعهم  
من المنفى فتوهموا أن أغراضهم محققت، ولم تغره مظاهر  
العدل المنظم في الظاهر، ولكنه أزاح الستار عن ذلك  
الظلم الأجنبي المنظم في الباطن الذي يضوئ بجانبه كل ظلم  
من ذلك نفهم كيف كان الشاعر بالأمس يبكي من  
اسماعيل فأصبح يبكي عليه بخلاف بعض العرايين  
وكأنني بالشاعر أحس دنو الأجل فاستسلم للقضاء في  
هذه القصيدة ولم تحفره همته إلى الفخر ومغالبة الأقدار  
ورثي نفسه فيمن رثي حين قال:

زالوا فما بكت الدنيا لفرقتهم

ولا تعطلت الأعياد والجمع

فهذا البيت من خير ما قيل في وصف خروج الإنسان

من هذه الحياة الدنيا دون أن يحس الكون بفقده مهما  
كان عظيماً ، وقد قال فيكتور هوغو في هذا المعنى  
يبتايشبه هذا البيت .

Je m, en irai bientôt au milieu de la fete  
Sans que rien manque au monde immense et  
radieux

وقد تكون هذه القصيدة في مجملها أثراً من آثار  
التأمل الذي يعتري الانسان عند تقلص الايام وتقلب  
الدنيا ويدفعه الى عرض الماضي في صفحة الفكر فاذا بكى  
عليه كان بكاءؤه المر عسارة التجارب والالم

وقد كان الاستاذ خليل مطران يختلف اليه كثيراً  
في آخر أيامه ، ومما قاله عنه في فصل كتبه . « ان هذا  
الوزير الذي اقتدح زناد تلك الهمة وشبت بعد استقالته  
تلك الفتنة المستطيرة لم يكن مع شجاعته واقدامه اللذين  
بلغ بهما اقصى مبالغهما في مواطن القتال الارجل مسكينة  
ووداعة وحلم ، ولما كان رجل أرق منه قلباً على ذويه  
واحفظ عهداً لمحبيه ولعل اصابته بكرهه هي التي قلصت  
من كبده وأودت بجسده . ثم ان العارف بحوادث حياته  
لا يكاد يصدق أنه هو الرجل الذي كان ديدنه في سنواته  
الاخيرة أن يجمع اطفاله وهم غلامان واربع فتيات فيجعل  
لهم مكاناً خصيصاً من البيت لتلقى العلوم واللغات بضرورها



على اساتذة يحضرون في مواعيد كأهم في مدرسة قانونية  
 فيبرعي سيرهم كل يوم ثم يمتحنهم كل أسبوع مرة ثم يمتحنهم  
 آخر كل شهر ويوزع عليهم المكافآت

« على أن هذا البر إنما كان احدي شمائله وفضائله فان  
 أريد بعض التعداد فالجودة مع الجود والكياسة مع لطف  
 الحس والصفح مع المقبرة والايثار مع علو النفس  
 وشرف الطبع »

ونضيف الى ذلك، أن البارودي قد تمكن بفضل جده  
 وكده من تجديد جزء عظيم من ثروته تركه لاهله وذويه  
 فكان طول حياته مثال الهمة العليا ولم يمنعه قول الشعر  
 من قيادة الجحافل، ورياسة الوزارة في اخرج الاوقات،  
 والعمل

وكل ما يعاب على الرجل أنه لم يوفق في حياته  
 السياسية كما وفق في شعره . ومهما كان من الامر فقد  
 كانت حياة هذا الرجل صحيفة كبرى من التاريخ المصري  
 تشهد له بحسن الطوية وصدق العزيمة وكرهية الظلم  
 والاعتدال والروية والإناة

وهو مؤسس دولة الشعر التي يحل لواها اليوم  
 شوقي ومطران وجافظ وآخرون بعد أن غادرهم شيخ  
 الشعراء بعده المرحوم منبيري باشا الذي تنبأه اليوم الى

الشعر كما تنعى في الجود الى الجود

ولا أعرف رجلاً كافح الردى مثلاً كالفه البارودى  
وطاعن خيلاً من قوارسها الدهر مثلاً طاعنها ، وخاض  
وقائع الحياة مثلاً خاضها ، وقد كان خلق الرجل عظيماً  
وذكاءه عظيماً وشعره عظيماً فكان الثلاثة فى مستوى واحد  
وفى اعتقادى ان أكثر شعره ارتباطاً بحياته شعر  
المنفى ، شعر العواطف ، شعر الوجدان ، شعر الألم .

وليس فى هذا الشعر ما يبعث على اليأس والاستسلام  
أو يولد خوراً فى العزيمة ، وإنما هو درس من دروس  
الشجاعة والصبر والجلد . درس من دروس الوفاء وعلو  
النفس وكرم العنصر فأخلق به أن يكون انشودة الصبي  
فى مكتبته . والناسك فى صومعته . والزارع فى مزرعته .  
والوطنى فى جهاده .

وقد لى دعوة ربه فى ٦ شوال سنة ١٣٢٢ (ديسمبر  
سنة ١٩٠٤) فبكته مصر وبكاه الشعراء الذين وقفوا يوم  
الاربعين لدى قبره «ونبهوا الابداء النائمة حوله فى بهو  
السكون الخالد» . وكان ذلك يوماً مشهوداً لم يسبق مثله  
الا للمعري . ومن خير ما قيل فيه بل خير ما نحم به هذا  
البحث قول مطران .

وما كان سجنك الا قراراً وقد تعب الجدل أن يسهر

ولا النقي الا خلاء أعدت  
 به زمن الادب الازهرا  
 ولا النكل الا لتأسي اساك  
 وتبكي بكاء ليوث الشرى  
 ولا الغض عما تراه العيون  
 الا وقد ساء ان ينظروا  
 اذا وسع الكون فكم امرىء  
 فلا بأس بالطرف ان يحسرا  
 على الشمس ان تهدي المبصرين  
 وليس على الشمس ان تبصرا





## مختارات

نشر في هذا الباب ما مختاره من قصائد البارودي التي اشرفنا  
الى اكثرها في اثناء البحث حتى تكون عند القارئ فكرة كاملة  
من الرجل وشعره ، قال رحمه الله :

|                         |                            |
|-------------------------|----------------------------|
| هل من قتي ينشد قلبي معي | بين خنوز العين بالاجرع     |
| كان معي ثم دعاه الهوي   | فمر بللي ولم يرجع          |
| فهل اذا ناديت به باسمه  | يفيق من سكرته او يعي       |
| هيهات يلقي رشدا بعد ما  | اغواه لحظ الرشأ الاتلع     |
| فيادموع القطر مسلي دما  | ويا بنات الايك نوحى معي    |
| وانت يانسمة وادي الغضا  | ميري برياك على مربعي       |
| وانت يا عصفورة المنحني  | بالله غنى طربا واسجعي      |
| وانت يا عين اذا لم تقي  | بذمة الدمع فلا تهجعي       |
| صباية اغرت على الاسى    | ودلت السهد على مضجعي       |
| ويلاه من نار الهوي انها | لولادموعى احرق تاضلعي      |
| ايبت ارعني النجم في سدة | ضل بها البصيح فلم يطلع     |
| لا اهتدي فيها الى خيلة  | هي حياتها من يدي مصرعي     |
| طورا اذاري لوعتي بالتي  | وتارة يغلبني مدعي          |
| فهل الى الاشواق من غاية | أم هل الى الاوطان من مرجعي |
| لا تأس يا قلب على ماضي  | لا بد للمحنة من مقطع       |

وقال يصف حرب سكان جزيرة أفریطش  
« كزید » حين خرجوا عن الطاعة سنة

١٢٨٢ ويتشوق الى مصر

|                                 |                            |
|---------------------------------|----------------------------|
| أخذ الكرى بماقد الاجفان         | وهنا السرى بأعنة الفرسان   |
| والليل منشور الذوائب ضارب       | فوق المتالع والربى بجران   |
| لاستين العين فى ظلماته          | الا اشتعال أسنة المرات     |
| نسى به ما بين لجة فتنة          | تسمو غواربها على الطوفان   |
| فى كل مرباة وكل نية             | تهدار سامرة وعزف قيان      |
| تستن عادية ويصهل أجرد           | وتصيح أجراس ويهتف عان      |
| قوم ابى الشيطان الا خسرهم       | قتلوا من طاعة السلطان      |
| ملوا الفضاء فما بين لناظر       | غير التماع البيض والخمرسان |
| قالبر أكدر والسماء مريضة        | والبحر أشكل والرماح دوان   |
| والخيل واقفة على ارسائها        | لطراد يوم كريمة ورهان      |
| وضعوا السلاح الى الصباح وأقبلوا | يتكلمون بالسن النيران      |
| حتى اذا ما أصبح أسفر وارتمت     | عيناى بين ربي وبين مجان    |
| فاذا الجبال أسنة واذا الوها     | د أعنة والماء أحر قانى     |
| فتوجست فرط الركاب ولم تكن       | لتهاب قامتعت على الارسان   |
| فرغت فرجت الحنين وانما          | تحنانها شجن من الاشجان     |
| ذكرت مواردها بمصر وأين من       | ماء بمصر منازل الرومان     |
| والنفس لاهية وان هى صادفت       | خلقا بأول صاحب ومكان       |
| فيسقى السماك محلة ومقامة        | فى مضر بكل مرة مران        |
| حتى تعود الارض بعد ذبولها       | شئ البناء بكثرة الألوان    |

بلذ خلعت به عنذار شيبتي  
 فصعدها أحوى النبات وسرحها  
 فارقها طلباً لما هو كائن  
 حمل الزمان على مالم أجنه  
 فقموا على وقد فتكت شجاعتي  
 فليهنأ الدهر الغيور برحلي  
 فلئن رجعت فسوف أرجع واثقا  
 صادقت بعض القوم حتي خاني  
 زعم النصيحة بعد أن بلغت به  
 فليجر بعد كما أراد بنفسه  
 وكذا اللئيم اذا أصاب كرامة  
 فليعلمن أخو الجهالة قصره  
 فاربما رجح الخسيس من الجصى  
 شرف خصصتته وأخطأ حامدى  
 وطرحت في يني الغرام عناني  
 ألى الظلال وزهرها متداني  
 والمرء طوع قلب الأزمان  
 ان الأماثل عرضة الحدان  
 ان الشجاعة حلية الفتيان  
 عن مصر وتهدأ صروف زمانى  
 بالله أعلمت الزمان مكاني  
 وحفظت منه مغيبه فرماني  
 غشا وجاز الحق باليهتان  
 ان الشقي مطية الشيطان  
 عادى الصديق ومال بالاخوان  
 عني وان سبقت به قدمان  
 بالدر عند تراجع الميزان  
 مسعاته فهدى به وقلاني

وقال أيضا

مجاريا قصيدة «أراك عصي الدمع شيمتك الصبر»

طربت وعادتنى المخيلة والسكر  
 كائن مخمور سرت بلسانه  
 صريع هوى يلوى بي الشوق كلما  
 اذا مال ميزان النهار رأيتني  
 يقول أناس أنه السحر ضلة  
 فكيف يعيب الناس أمرى وليس لي  
 ولو كان مما يستطاع دفاعه  
 وأصبحت لا يلوى بشيئني الزجر  
 معتقة مما يضمن بها التجر  
 تلاً لا برق أوسرت ديمة غرز  
 على حشرات لا يقاومها صبر  
 وما هي الا نظرة دونها السحر  
 ولا لا ترى في الجب نهى ولا أمر  
 لالوت به البيض المباتير والسمر



ولكنه الحب الذي لو تعلقت  
على أني كاتمت صدري حرقه  
وكففت دما لو أسلت شوته  
حياء وكبرا أن يقال ترجحت  
واني امرؤ لولا العوائق أذعنت  
من النفر الغر الذين سيوفهم  
إذا استل منهم سيد غرب سيفه  
لهم عمد مرفوعة ومعاقل  
ونار لها في كل شرق وغرب  
تمديد نحو السماء خضيبه  
وخيل يرج الخاقين صهيلها  
معودة قطع الفيا في كأنها  
أقاموا زمانا ثم بدد شملهم  
فلم يبق منهم غير آثار نعمة  
وقد تنطق الآثار وهي صوامت  
لعمر كماحي وإن طال سيره  
وما هذه الأيام إلا منازل  
ولا تحسبن المرء فيها بخالد

## وقال

سل الفلك الدوار أن كان ينطق  
تسائله عن شأنه وهو صامت  
فلا سره يبدو ولا نحن نرغوى  
وكيف قتال النفس منه لبانة  
وكيف يحير القول آخر من آخر  
ونخير ما في نفسه وهو مطبق  
ولا شأوه يدنو ولا نحن نلحق  
وأقرب ما فيه عن الظن أسحق

قضاء برد العين حسري ومسرح  
 أقام على رغم الفناء وكل ما  
 فكم ثل عرشا واستباح قبيلة  
 محسي مرارات الكبود فلم تزل  
 نهار وليل يدأبان وأنجم  
 ترف كزهر طوحته عواصف  
 سواج لا تنفك تجري لغاية  
 فيا أمها الساري على غير هدية  
 أتحسب ان الظن يدرك بعض ما  
 وكيف ينال الحس وهو معد  
 فلا تتبع ريب الظنون فكل ما  
 ولا تحسبن الحس يدرك ما نأى  
 وأين من المخلوق ادراك حكمة  
 فلو علم الانسان حالة نفسه  
 اذا المرء لم يملك بوا در وهم  
 فايك والدنيا فان نعيمها  
 فان هي أعطتك الايمان فانها  
 فلاودها بقي ولا صفو عيشها  
 فكم أخلفت وعداً وملت ضحابة  
 وكيف يعيش الدهر خاوا من الأسي  
 لعمر أبي ان الحياة ولو صفت  
 فقيم يود المرء طول حياته  
 وما الدهر الا مستعد لوثة  
 يقص جناح الفكر وهو مخلوق  
 تراء على وجه البسيطة ينفق  
 وفرق جمعا وهو لا يتفرق  
 به صبغة من لونها فهو أزرق  
 تغيب الى ميقاتها ثم تشرق  
 بلجة ماء فهو يطفو ويفرق  
 يقصر عنها الكاهن المتعمق  
 رويدا فان الباب دونك مغلق  
 تحاوله والظن للمرء موبق  
 سريرة غيب دونها الحس يصعق  
 تصوره الانسان وهم ملفق  
 فما كل حين قائف الحس يصدق  
 بها ينشئ الله القرون ويمحق  
 كفاه ولكن ابن آدم أخرق  
 عن القول فيما لم يفد فهو أحمق  
 يزول وملبوس الجديد ينخلق  
 ستخشن من معد الاليان وتخرق  
 يدوم ولا موعودها يتحقق  
 وخانت وفيها فهي بلهاء تنزق  
 سقيم يغادي بالهموم ويطرق  
 مسافة يوم فهو صفو مرتق  
 وفي طولها شغل الهناء مفرق  
 فخذرك منه فهو غضبان مطرق

كأن هلال الافق سيف مجرد      عليقا به والنجم سهم مفوق  
 أباد بنيه ظلما غير راحم      فيا عجبا من والد ليس يشفق  
 فلا تبتئس بالامر تخشي وقوعه      فقد يأمن الانسان من حيث يفرق  
 فما كل ما تهواه يأتيك بالني      ولا كل ما تخشاه في الدهر يطرق  
 وكن واتقا بالله في كل محنة      فله أولى بالعباد وأرفق

وقال أيضا

غلب الوجد عليه فبكي      وتولى الصبر عنه فشكا  
 وتمنى نظرة يشفي بها      علة الشوق فكانت مهلكا  
 يالها من نظرة ما قربت      مهبط الحكمة حتي انتهكا  
 نظرة ضم عليها هديه      ثم أغراها فكانت شركا  
 غرست في القلب مني حبه      وسقته أدمعي حتي زكا  
 آه من برج الهوى ان له      بين جنبي من النار ذكا  
 كان أبقي الوجد مني رمقا      فاحتوي البين علي ما تركا  
 ان طرفي غر قلبي فمضى      في سبيل الشوق حتي هلكا  
 قد تولى اثر غزلان النقا      ليت شعري أي واد سلكا  
 لم يعد بعد وظي انه      لج في نيل المني فارتبكنا  
 ويح قلبي من غريم ماطل      كلما جدد وعدا أفكنا  
 ظن بي سوءا وقد ساومته      قلة فازور حتي فركا  
 يا غزالا نصبت أهدابه      بيد السحر لضمي شبكنا  
 قد ملكيت اقلب فاستوص به      انه حق علي من ملكنا  
 لا تعذبه علي طاعته      بعد ما تيمته فهو لكنا  
 غلب اليأس علي حسن المني      فيك واستولى علي الضحك البكا



قال من أشتكي ما شقي من غرام واليك المشتكى  
سلكت نفسي سبيلا في الهوى لم تدع فيه لغيري مسلكا

### طائر على شجر من

ونبأة اطلقت عيني من سنة  
قمت اسأل عيني رجع ما سمعت  
ثم اشرابت والفت طائر احذرا  
مستوفزا يتنزي فوق ايكته  
لا يستقر له ساق علي قدم  
يهفو به الغصن احيانا ويرفعه  
منابله وهو في امن وغافية  
اذا علايات في خضراء ناعمة  
يا طير نفرت عني طيف غانية  
حوراء كالريم الحاظا اذا نظرت  
زالت خيالها عني وأعقبها  
فهل الى سنة ان أعوزت صلة  
كانت حباله طيف زارني بحرا  
اذني فقالت لي ابلغ الخبرا  
على قضيب يدبر السمع والبصرا  
تنزي القلب طال العهد فادكرا  
فكلما هدأت انفاسه نفرا  
دحو الصواعج في الديمومة ألا كرا  
لا يبعث الطرف الا خائفا حذرا  
وان هوى ورد الغدران أو نفرا  
قد كان اهدي لي السراء حين سري  
وصورة البدر اشراقا اذا سفرا  
شوق أحال على الهم والسهرا  
عود تال به من طيفها الوطرا

\*\*\*

كان رحمه الله حين ذهب الى جرب الروس (١٢٩٤هـ) كتب  
لابناء وده كتبيا ولم تصل اليهم وظن وصولها وتقصيرهم عن المبادرة  
بالاجابة وقد وصل الي الشيخ حسين المرصني أحد كتابين كتبها له  
يوم قدومه الى مصر بعد مدة طويلة من كتابته ، وهذه أبياته :

يا ناعس الطرف الى كم تنام امهرتني فيك ونام الانام  
واشك هذا الليل ان ينقضي والعين لا تعرف طيب المنام

الله في عين خفاها الكري  
 قد رجم العاذل حالي فما  
 ويلاه من ظلي الحمى انه  
 يغضب من قولي آه وهل  
 لا كتبه ترى ولا رسله  
 طال النوى من بعدكم وانقضت  
 لوتاح ان مر نسيم الصبا  
 باليتي في السلك خرف سري  
 حتى اوافى مصر في لحظة  
 مولاي قد طاك مزير النوى  
 اظر حولي لا اري صاحبا  
 وديد بانا صارخا في الدجى  
 يقبل الصبح ويمضي الدجى  
 ولا كتاب من حبيب اتي  
 في هضبة من ارض دبريمة  
 من خلقنا البحر وتلقاها  
 فتلك حالي لارمتك النوى  
 وقال بجارى قصيدة ابي نواس في مدح الامير محمد بن الرشيد،  
 وسندكرها قصيدة ابي نواس اتماما للفائدة ثم نعقبها بقصيدة البارودي،  
 قال أبو نواس :

يادار ما فعلت بك الايام  
 عزم الزمان على الدين عهدتهم  
 أيام لا اغشى لاهلك منزلا  
 لم تبق منك بشاشة تستام  
 بك قاطنين والزمان غرام  
 الا مراقبة على ظلام

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم  
 وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه  
 وتجشمت بي هول كل تنوفة  
 تذر المطي وراءها فكأنها  
 وإذا المطي بنا بلغن محمدا  
 قربنا من خير من وطئ الحصا  
 رفع الحجب لنا فلاح لناظر  
 ملك إذا علقت يداك بحبله  
 ملك توحد بالملكارم والعلی  
 ملك اغر إذا شربت بوحه  
 قال بهو مشتمل بيدر خلافة  
 سبط البنان إذا احتبي بنجاده  
 ان الذي يرضي الاله بهديه  
 ملك اذا اعتبر الأمور مضى به  
 داوى به الله القلوب من العبي  
 أصبحت يابن زبيدة ابنة جعفر  
 فسلمت للامر الذي ترجي له  
 وقال البارودي في الوزن والروي :

ذهب الصبا وتوالت الايام  
 تالله انسي ما حيت عهوده  
 اذ نحن في عيش ترف ظلاله  
 تجري علينا الكاس بين مجالس  
 في فتية قاض النعيم عليهم  
 فعلى الصبا وعلى الزمان سلام  
 ولكل عهد في الكرام ذمام  
 ولنا يعمرك الهوى آثام  
 فيها السلام تعانق ولزام  
 ونعاهم التبجيل والاعظام



ذهبت بهم شيم الملوك فليس في  
 لا ينطقون بغير آداب الهوي  
 من كل ابلج يستضاء بنوره  
 سهل الخليفة لا يسوء جليسه  
 متواضع للقوم بحسب ائنه  
 تربو العيون اليه في افعاله  
 فاذا تكلم فالروءوس خواضع  
 زاهو وتلعب بين خضر حدائق  
 حتي انتبهنا بعد ان ذهب الصبا  
 لا تحسبن العيش دام لمترف  
 تأتي الشهور وتنتهي ساعاتها  
 والناس فيما بين ذلك وارد  
 لا طائر ينجو ولا ذو مخلب  
 قادر اهوم النفس عنك اذا اعترب  
 فالعيش ليس يدوم في الوانه  
 من خمرة تندر الكير اذا انتشى  
 احب الزمان بها فغادر جسمها  
 خراء دارها الجباب فصورته  
 لا تستقيم العين في لمعائها  
 تعشوا ركاب فان تبلج كأسها  
 حيث يست بالكف لم يصل بفنائها  
 حتى اذا اصطفت وطار فدامها  
 وقبت حنيتها فلولاً مزجها

تلعبهم هنر ولا ابرام  
 سمح النفوس على البلاء كرام  
 كاليدرجلى صفحته غمام  
 بين المقامة واضح بسام  
 مولى لهم في الدار وهو همام  
 وتسير تحت لوائه الاقوام  
 واذا تناهض فالصفوف قيام  
 ليست بغير خيولنا تستام  
 ان اللذاذة والصبا أحلام  
 هيات ليس على الزمان دوام  
 لمع السراب وتنقضي الاعوام  
 أو جادر تجري به الايام  
 يبقى وعاقبة الحياة حمام  
 بالكاس فهي علي الهوم حسام  
 الا اذا دارت عليه الجمام  
 بعد اشتعال الشيب وهو غلام  
 شجا تهافت دونه الاوهام  
 فليكا تحف سماء الاجرام  
 وتزل عند لقاءها الاقدام  
 ساروا وان زال الضياء أقاموا  
 نور ولم يسرح عليه ظلام  
 وثبت قلم ثبت لها الاجسام  
 بالماء بعد الماء شب ضرام

نسم العيون بنورها لكنها  
 فاصقل بها صدأ الهموم ولا تكن  
 واعلم باب المرء ليس يخالد  
 بهوي القتي طول الحياة وانها  
 فاطمخ بطرفك هل ترى من امة  
 هذى المدائن قد خلت من أهلها  
 لاشيء يخلد غير ان خديعة  
 ولقد تبينت الامور بغيرها  
 فاذا السكون تحرك واذا الخمو  
 واذا الحياة ولا حياة منية  
 هذا يحل وذاك يرحل كارها  
 فالنور لو يثبت أمرك ظلمة  
 برد على شرايها وسلام  
 غرا تطيش بلبه الآلام  
 والدهر فيه صحة وسقام  
 داء له لو يستبين عقام  
 خلدت وهل لابن السبيل مقام  
 بعد النظام وهذه الاهرام  
 في الدهر تنكل دونها الاحلام  
 واتى علي النقض والابرار  
 د تلهب واذا السكوت كلام  
 تحيا بها الاجداد وهي رمام  
 عنه فصلح تارة وخصام  
 والبدء لو فكرك فيه ختام

...

ولاني نواس قصيدة أخرى مدح بها الخصيب ابن عبد الحميد  
 العجبي امير مصر من طرف الرشيد وكان قصده من بغداد:  
 اجارة بيتينا أبوك غيور  
 وميسور مايرجني لديك عسير  
 فان كنت لا خلتا ولا أنت زوجة  
 فلا برحت دوني عليك ستور  
 ونجاورت قوما لا تزاور بينهم  
 ولا وصل الا ان يكون نشور  
 فما أنا بالمشغوف ضربة لازب  
 ولا كل سلطان على قدير  
 وهي قصيدة طويلة وقد نظم شاعرنا قصيدة في وزنها ورويها  
 قال ( زواية الوسيلة الادبية ):

تلاهيت الا مايجن ضمير  
 وداريت الا ما ينم زفير  
 وهل يستطيع المرء كتمان امره  
 وفي الصدر منه بارح وسفير

فيا قاتل الله الهوى ما أشده  
 تلين اليه النفس وهي آية  
 نبذت له رمحي وانعمت صارمي  
 واصبحت مغلول المخالب بعد ما  
 في السراة القوم دعوة عائد  
 لطلال على الليل حتى ملته  
 الا فرعى الله الصبا ما ابره  
 اذ العيش افواف ترف ظلاله  
 واذا نحن فيما بين اخوان لذة  
 تدور علينا الكاس بين ملاعب  
 فالحافظنا بين النفوس رسائل  
 عقدنا جناحي ليلنا بنهارنا  
 وقتنا لساقينا ادرها قائما  
 قطاف بها شمسية لهية  
 اذا ما شربناها اقمنا مكاننا  
 وكم ليلة افنيت عمر ظلامها  
 شلت بها قلبي ومنتعت ناظري  
 صنعت بها صنع الكريم باهله  
 فما راعنا الا حفيف حمام  
 تجاوب اترابا لها في خمائل  
 نواعم لا يعرفن بؤس معيشة  
 تتوسد هامات هن ومائدنا  
 كأن على أعطافها من حبيكما

على المرء اذ يخلوبه فيغير  
 ويجزع منه القلب وهو صبور  
 ونهنت مهري والمراد غزير  
 سطوت ولي في الخافقين زئير  
 اما من سميع فيكم فيجبر  
 وعهدى به فيما علمت قصير  
 وحيا شبابا مر وهو نضير  
 علينا وسلسال الوفاء تمير  
 على شيم ما ان بهن نكير  
 بها اللهو خدن والشباب سمير  
 وريحاننا بين الكؤوس سفير  
 وطربنا مع اللذات حيث تطير  
 بقاء القى بعد الشباب يسير  
 لها عند الباب الرجال ثور  
 وظلت بنا الارض الفضاء تدور  
 الى ان بدا للصبح فيه قدير  
 ونعمت سمعي والبنان ظهور  
 وجيرته والغادرون كثير  
 لها بين أطراف الغصون هدير  
 هن بها بعد الجنين صغير  
 ولا دائرات الدهر كيف تدور  
 من الريش فيه طائل وشكير  
 تمائم لم تعقد هن سيور

خوارج من ايك دواخل غيره  
 اذا غارتها الشمس رفت كاتما  
 فلما رأيت الصبح قد رف جیده  
 خرجت اجر الذیل تیها وانما  
 ولی شیمه تابی الدنایا وعزمه  
 اذا سرت فالارض التي نحن فوقها  
 فلا عجب ان لم یصر فی منزل  
 همامة نفس لیس ینفی رکابها  
 معودة ان لا تکف عنانها  
 لها من وراء الغیب اذن سمیعة  
 وفیت بما ظن الکرام فراسة  
 واصبحت محسود الجلال کانی  
 اذا صلت کف الدهر من غلوائه  
 ملکت مقالید الکلام وحکمة  
 فلو کنت فی عصر الکلام الذی اتقضي  
 ولو کنت ادرکت النوامی لم یقل  
 وما صر فی اتی تاخرت عنهم  
 فیاربما اخلی من السبق أول  
 زهاهن ظل سابغ وغدير  
 علی صفحتها سندس وحریر  
 ولم یبق من نسج الظلام ستور  
 یتیه القتی ان عف وهو قدیر  
 ترد لهام الجیش وهو یمور  
 مراد لمهري والمعاقل دور  
 فلیس لعقبان الهواء وکور  
 رواح علی طول المدي وبکور  
 عن الجد الا ان یتم أمور  
 وعین تري مالا یراه بصیر  
 بلهري ومثلی بالوفاء جدیر  
 علی کل نفس فی الزمان أمیر  
 وان قلت غصت بالقلوب صدور  
 لها کوب فخم الضیاء منیر  
 لباء بفضلی جرول وجریر  
 اجارة یتینا أبوک غیور  
 وفضلی بین العالمین شهیر  
 ویز الجیاد السابقات أخیر

\*\*\*

وقال النایفة الذبیانی واسمه زیاد یصف المتجردة زوج النعمان  
 بجمره ویقال ان النعمان مع ذلك لما سمع القصيدة غضب علی النایفة  
 وجفاه وظن به حتی اختفی منه ثم ظهرت برأته له وعاد الی موضعه  
 من مناد مته



امن آل مية رائح أو مقعد  
 افند الترحل غير ان ركبنا  
 زعم الهام بان رحلتنا غدا  
 لامر حبا بقد ولا اهلا به  
 حان الرحيل ولم نودع مهديا  
 في اثر غانية رمتك بسهمها  
 غنيت بذلك اذهم لك جيرة  
 ولقد أصاب فؤاده من حبها  
 نظرت بمقلة شادن متريب  
 والنظم في سلك يزين نحرها  
 صفراء كالسيراا اكل خلقها  
 والبطن ذوعكن لطيف ظيه  
 مخطوطة المثين غير مفاضة  
 قامت تراءى بين سحقي كاة  
 أو درة صدفية غواصها  
 أو دمية من مزمر مرفوعة  
 سقط النصف ولم ترد اسقاطه  
 بمخضب رخص كأن بنائه  
 نظرت اليك بحاجة لم تقضها  
 تجلو بقادمتي حمامة ايكاة  
 كالاقحوان غداة غب سنائه  
 زعم الهام بان قافا بارد  
 عجلان ذا زاد وغير مزود  
 لما تزل برجالنا وكان قد  
 وبذلك تنعاب الغراب الاسود  
 ان كان تفريق الاحبة في غد  
 والصبح والامساء منها موعدي  
 قاصاب قلبك غير ان لم تقصد  
 منها بمطف رسالة وتودد  
 عن ظهر مرنان بسهم مصرد  
 احوى اجم المقتلين مقلد  
 ذهب توقد كالشهاب الموقد  
 كالغصن في غلوائه المتاود  
 والاتب تنفجه بشدي مقعد (١)  
 ربا الروادف بضة المتجرد  
 كالشمس يوم ظلوغها بالاسعد  
 بهج متي يرها يهل ويسجد  
 بنيت بأجر يشاد وقرمد  
 فتناولته واقتنا بالند  
 عنم يكاد من اللطافة يعقد  
 نظر السقيم الي وجوه العود  
 بردا اسف لثاة بالاثمد  
 جفت اعاليه واسفله تد  
 عذب مقبله شفى المورد

زعم الهمام ولم أذقه انه  
 زعم الهمام ولم أذقه انه  
 اخذ العنداري عقده فنظمه  
 لو أنها عرضت لا شمت راهب  
 لئنا لرويتها وحسن حديثها  
 بتكلم لو تستطيع كلامه  
 وبفاحم رجل اثبت نبتة  
 واذا لمست لمست اجسم جاثما  
 واذا طعنت طعنت في مستهدف  
 واذا نزعبت نزعبت عن مستحصف  
 واذا يعض يشد من أعضائه  
 ويكاد ينزع جلد من أصلى به  
 لا وارد منها يحور لمصدر  
 وقد مشى البارودي على أثر النابغة وقال على روي قصيدته :  
 وسلك فيها مسالك العرب فيما كانت تتمدح به من مباشرة الحروب  
 وارتياح المنابت وركوب الخيل وشرب الخمر ومزاولة النساء :  
 ظن الظنون فبات غير موصد  
 تلوي به الذكرات حتى انه  
 طورا بهم بان يزل بنفسه  
 فكأنما افترست بطائر حله  
 قالوا غدا يوم الرحيل ومن لهم  
 هي مهجة ذهب الهوى بشغافها  
 يا أهل ذا البيت الرفيع مناره  
 حيران يكلاً مستنير الفرقه  
 ليظل ملقي بين أيدي العود  
 سرفا وتارات يميل على اليد  
 مشمولة او ساغ سم الاسود  
 خوف التفريق أن أعيش الى غد  
 معمودة ان لم تمت فكان قد  
 أدعوك يا قوم دغوة مقصد

اني قدت العام بين بيوتكم  
 او فاستقيدوني ببعض قيانكم  
 يا اخا السيف الطويل نجاده  
 هذي لحاظ القيد بين شعابكم  
 من كل ناعمة الصبا بدوية  
 هيفاء ان خطرت سبت واذا رنت  
 يخفضن من ابصارهن تحتلا  
 فاذا اصبن اخا الشباب سلبته  
 واذا لحن اخا المشيب قلينه  
 فلئن غدوت دريئة لعيونها  
 واقعد شهدت الحرب في ابائها  
 تتقصف المران في حجراتها  
 عصفت بها ربح الردي فتدققت  
 مازلت اطعن بينها حتي اثنت  
 ولقد هبطت الغيث يلعب نوره  
 تجري به الآرام بين مناهل  
 بمضمر أرن كان سراته  
 خلصت له اليمني وعم ثلاثة  
 فكأنما انتزع الاصيل رداءه  
 زجل يردد في اللهاة صهيله  
 مختلفا عن جانبيه يهزه  
 فاذا ثنيت له العنان وجدته  
 واذا اطعت له العنان رأيت

فلي فردوه علي لا هتدي  
 حتي ترد الى نفسي أو تدي  
 ان أنت لم تحم النزيل فأغمد  
 فتكت بنا خلصا بغير مهند  
 ربا الشباب سليمة المتجرد  
 سلبت فؤاد العابد المتشدد  
 للنفس فعل القاتلات العبد  
 ورمين مهجته بطرف أصيد  
 وسترن ضاحية المحاسن باليد  
 فلقد أفل زعارة المتمرد  
 ولبثن راعى الحي ان لم أشهد  
 ويعود فيها السيف مثل الادرد  
 بدم الفوارس كالأثني المزبد  
 عن مثل حاشية الرداء المجسد  
 في كل وضاح الأسرة أغيد  
 طابت مشاربها وظل ابرد  
 بعد الحميم سبيكة من عسجد  
 منه البياض الى وظيف أجرد  
 سلبا وخاض من الضحى في مورد  
 دفعا كزمزمة الحبي المرعد  
 مرج الصبا كالشارب المتغرد  
 يغطو كسيد الزدهة المتورد  
 يطوي المهامه فدقدا في فدق

يكفيك منه اذا استحسن نبأه  
صلب السنايك لا يمر بجلده  
نعم العناد اذا الشفاء تقلصت  
ولقد شربت الخمر بين غطارف  
يتلاعبون على الكؤوس اذا جرت  
لا ينطقون بغير ما أمر الهوى  
من كل وضاح الجبين كانه  
بل رب غانية طرقت خبائها  
قالت وقد نظرت الى فضحتي  
بخلبتها بالقول حتي رضى  
مازلت امنعها المنام غواية  
روعاء تفرع من عصافير الضحي  
حتى اذا سم الصبا وثابتت  
قالت دخلت وما اخالك بارحا  
فمسحتها حتي اطمان فؤادها  
وخرجت اخترق الصفوف من العدي  
فلنعم ذاك العيش لو لم ينقض  
يرجو القتي في الدهر طول حياته

شدا كالهوب الالباء الموقد  
في الشد الا رض فيه بجلده  
يوم الكريهة في العجاج الاربد  
شم المعاطس كالنصون المبد  
لعبا يروح الجدف فيه ويعتدى  
فكلامهم كالروض مصقول ندى  
قر توسط جنح ليل أسود  
والنجم يطرف عن لواظ ارمده  
فارجع لسانك فالرجال بمرصده  
وطويتها طي الحبيزة باليد  
حتى لقد بتنا بليل الانقده  
ترقا وتمجزع من صياح الهدده  
زيم الكواكب كالمها المتبدد  
الا وقد ابقيت عار المسند  
ونفيت روعها برأى محصد  
متلما والسيوف يلمع في يدي  
ولنعم هذا العيش ان لم ينقده  
ونعيمه والمرء غير مخجلده

«\*»

وقال الشريف محمد الرضى يفتخر ويمدح

أسلافه من أهل البيت :

لغير العلا متى القلا والتجنب  
اذا الله لم يعتذر فيما ترومه  
ولو لا العلا ما كنت في الحب أرغب  
فما الناس الا عاذل أو مؤنب



ملكت بحلمي فرصة ما استرقها  
 فان يك سنى ما تطاول باعها  
 بحسبي انى فى الاعادى مبغض  
 وللحلم أوقات وللجهل مثلها  
 يصول على الجاهلون واعتلى  
 يرون احتمالي غصة ويزيدهم  
 وأعرض عن كاس النديم كأنها  
 وقور فلا الالحان تأسر عزمتي  
 ولا أعرف الفحشاء الا بوصفها  
 تحلم عن كرا القوارص شيمتي  
 لسانى حصاة يقرع الجهل بالحجى  
 ولست براض ان تمس عزائمي  
 غرائب آداب حباتي بحفظها  
 تريشنا الأيام ثم تهيضنا  
 نهيتك عن طبع اللثام فانى  
 تعلم فان الجود فى الناس فطنة  
 تضافرنى فيك الصوارم والتقنا  
 نصحت وبعض النصيح للقوم هجنة  
 فان أنت لم تعط النصيحة حقها  
 سقا الله أرضاً جاوز القطر روضها  
 ذكرن بهاعهد الشباب فحسرة  
 ويعجبني منها التسيم اذا هفا  
 سكنتك والايام بيض كأنها

من الدهر مقتول الذراعين أغلب  
 فلي من وراء المجد قلب مدرب  
 وانى الى غر المعالى محبب  
 ولكن أياي الى الحلم أقرب  
 ويعجم فى القائلون وأعرب  
 لو اعج ضغن انى لست أغضب  
 وميض غمام غائر المزن تحلب  
 ولا تمكر الصهباء بي حين أشرب  
 ولا أنطق العوراء والقلب مغضب  
 كأن معيد الذم بالمدح مخاطب  
 اذا قال منى العاضة المتأوب  
 فضالات ما يعطى الزمان ويسلب  
 زمانى وحرف الدهر نعم المؤدب  
 ألا نعم البادى وبئس المعقب  
 أرى البخل يوءى والمكارم تطلب  
 تناقلها الاحرار والطبع أغلب  
 ويصحبني مننت العذيق المارجب  
 وبعض التناجي بالعتاب تعتب  
 قرب جموح كل عنه المؤدب  
 اذ المزن يسقى والاباطح تشرب  
 أفنت وقدقات الذى كنت أطلب  
 الاكل ما مبر شئ عن القلب معجب  
 من الطيب فى أثوابها تتقلب

وبرق رقيق الطرتين لحظته  
 نظرت وألحظ النجوم كلية  
 فما الليل إلا فحة غستشقة  
 أمن بعد أن جالتها ورق اللجى  
 وعدنا بها ممعومة بنس وعها  
 كأن تراجع الحداة وراءها  
 تهز ظنوني في المآرب أربة  
 وردنا بها ماء الظلام سواغبا  
 تنفر ذود الطير عن وكراتها  
 وتلتد رشف الماء رثاقاً كأنه  
 أذعنا لها سر الكرى من عيوننا  
 حرام على المجد ابتسامي لقربه  
 ودهماء من ليل التمام قطعتها  
 ولو شئت غنتي حمام عشية  
 أقول إذا خاض السيران في اللجى  
 إلا غنياني بلحديث فاني  
 غناء إذا خاض المسامع لم يكن  
 ونشوان من خمر النعاس ذعرت

### وطيف الكرى في العين يطفو ويرسب

له مقلة يس تنزل النوح جفنها  
 إليه كما استرخى على النجم هيدب  
 سريت فجاج الأرض غفلاً ومعلما  
 تجذبها أيدي المطايا وتلعب  
 وما شهوتي لوم الرقيق وانه  
 كما يلتقي في السير ظلف ومخلب  
 عجبت لغيري كيف ساير نجمها  
 وسيرى فيها يا ابنة القوم أعجب

أُسَير ومرجى بالنجاد مقلد  
ومصقولة الاعطاف في جنباتها  
تجر على متن الطريق عجاوبة  
نهار بلا لاء السيوف مفضض  
ترى اليوم محر الخواشي كأنما  
صدمناها الاعداء والليل ضارب  
أخذنا عليهم بالصوارم والقنا  
يراعون أسفار الصباح وأنما  
وكل قليل الصدر من حلب القنا

#### خفيف الشوا والموت عجلان مقرب

يجم إذا ما استرعى الكرجهده  
وما الخيل الا كالقداح يجيلها  
دعوا شرف الاحساب يا آل ظالم  
لئن كنتم في آل فهر كوا كبا  
فنعى كنعت البدر ينسب بينكم  
صحبتم خضاب الزاعبيات فاصلا  
أهذب في مدح اللثام خواطرى  
وما المدح الا في النبي وآله  
وأولى بمنحى من أعز بفخره  
أرى الشعر فيهم باقيا وكأنما  
وقالوا عجب عجب مثلى بنفسه  
لعمرك ما أعجبت الا بمنحهم  
أعدا لفخرى في المقام محمدا

كما جمع الغدران والماء ينضب  
لنعم قاما فائز أو خيب  
فلا الماء مورود ولا التراب  
إذا غاض منها كوكب فاض كوكب  
جهارا وما كل السكاكب تنسب  
ومن علق الاقران مالا ينضب  
فاصدق في حسن المعاني واكذب  
يرام وبغض القول ما يتجنب  
ولا يشكر النعماء الا المهذب  
تخلق بالأشعار عنقاء مغرب  
وأن على الايام مثل أبى أب  
ويحسب انى بالقضائد معجب  
وادعو غلبا للعلاء حين أركب

قال البارودي وترجم لها بقوله وقال يروض القول على روى  
قصيدة الشريف :

|                             |                             |
|-----------------------------|-----------------------------|
| سواي بتحنان الاغريد يطرب    | وغيري بالذات يلهو ويعجب     |
| وما أنا ممن تأسر الخمر له   | ويملك سمعه اليراع المثقب    |
| ولكن أخوهم اذا ما ترجحت     | به سورة نحو العاراح يدأب    |
| نفي النوم عن عينيه نعس أبية | لها بين أطراف الاسنة مطلب   |
| بعيد مناط الهم فالغرب مشرق  | اذا مارى عينيه والشرق مغرب  |
| له غدوات يتبع الوحش ظلها    | وتغدو على آثارها الطير تنعب |
| همامة نفس اصغرت كل ما رب    | فكلفت الايام ما ليس يوهب    |
| ومن تكن العليا هممة نفس     | فكل الذي يلقاه فيها محجب    |
| اذا أنا لم أعط المكارم حقها | فلا عزني خال ولا ضمني أب    |
| ولا حملت درعي كبيت طمرة     | ولا دار في كتي سنان مدرج    |
| خلقت عيوفا لا أرى لابن حرة  | لدى يدا أغضى لها حين يغضب   |
| فلست لأمر لم يكن متوقعا     | ولست على شيء مضى أتعجب      |
| أسير على نهج يرى الناس غيره | لكل امرئ فيما يحاول مذهب    |
| واني اذا ما الشك            | لك أعظم ليلة                |

وأمت به الاجلام حيرى تشعب

|                               |                                |
|-------------------------------|--------------------------------|
| جدعت حقا في طرته بكوكب        | من الرأى لا يخفى عليه المغيب   |
| وبحر من الهيجاء خضت عجاجه     | ولا عاصم الا الصفيح المشطب     |
| تظل به حمر المنايا ومدها      | حواسر في ألوانهم               |
| توسطه والخليل بالخليل تلتقي   | وميض الظبي في الهام تبدو وتغرب |
| فما زلت حتى زين النكر موقفي   | لدى ساعة فيها العقول تغيب      |
| لذن غدوة حتى أتى الليل والتقي | علي غيب من ساطع النقع غيب      |



كذلك دأبى في المراس واتني  
وفتيان لهو قد دعوت والكرى  
الى مربع يجرى النسيم خلاله  
فلم يض ان جاءوا لمين دعوتي  
لا مرح في غي التصابي والعب  
خباء بأهداب الجفون بمطنب  
ينشر الخزامي والتدى يتصبب  
سراعا كما وافي على الماء ربرب  
بخيل كرام الصريم ورائها  
من اللاء لا يا كلن زاد اسوى الذي

يضر سنه والصيد أشهى واعذب  
تري كل محمدر الجمال بق فغر  
يكاد يفوق البرق شدا اذا انبرت  
فملنا الى واد كان تلاء  
تراح به الآمال بعد كلالها  
فينا نرود الارض بالعين اذ رأى  
فقمنا الى خيل كأن متونها

من الضمر خوط الضمير ان المشذب  
فلما انتهينا حيث أخبر أطلقت  
فما كان الا لفته الجيد ان علت  
وقلنا لساقينا أدره  
فقمنا الى راقود خم ركائه  
يبيع سلافا في اثناء ككائه  
فلم نال ان دارت بنا الارض دورة

وحتى رأينا الافق ينأى ويهرب  
الى ان تولى الى وم الا أقله  
فرحنا بنجر الدليل تيمنا لمنزل  
وقد كادت الشمس المنيرة تغرب  
به لاخى اللذات واللهو ملعب

مسارح مسكير ومريض قاتك  
 فلما رانا صاحب النار أشرت  
 وقال انزلوا يا بارك الله فيكم  
 وراح الى دن تكامل منه  
 فما زال حتى استل منه سبيكة  
 يحوم عليها الطير من كل جانب  
 فيا حسن ذاك اليوم لو كان باقيا  
 يود الفتى مالا يكون طماءة  
 ولو علم الانسان ما فيه نفعه  
 ولكنها الاقدار تجري بحكمها  
 نظن باننا قادرون واتنا  
 فرحة رب العالمين على امري  
 ونذكر هنا اتماما للفائدة ما قاله السيد حسين المرصفي صاحب

«الوسيلة الادبية» تعليقا على هاتين القصيدتين . « يقول الشريف  
 في مطلع قصيدته والذي يليه . طلب الانسان ما أحب من أعالي  
 الرتب وأرفع الاحوال طلب حق أو فضيلة وذلك مرضي لله مندوب  
 اليه ليس للناس فيه موضع عذل أو تأنيب بخلاف غيره من الطلب  
 فانه يوجب سخط الله فلا يعذر صاحبه واذا يجد الناس موقفا للعذل  
 والتأنيب وهو التعنيف أو معني البيت الثاني اذا لم تكشف بالله عاذرا  
 فلا تأمله في الناس فاتهم بين عاذل أو مؤنب ويكون شكاية من  
 قلة الانصاف . وفي قوله . وقد شرع في ذكر فضائله ملكتي بحلمي  
 جميع التجريد فالعلم هو الفرضة والدهر هو مقتول الذراعين الاغلب  
 وتلك صفة الاسد أي مندمج الذراعين غليظ العنق . وهو تصدير

ومخدعاً كواب به الخمر نسكب  
 أسارىه زهوا وجاء يرحب  
 فعندي لكم ما تشتهون وأطيب  
 وشيب فوديه من الدهر أحقب  
 من الخمر تطفوفي الافاء وترسب  
 ويسري عليها الطارق المتأوب  
 ويأطيب هذا الليل لو دام طيب  
 ولم يدرك أن الدهر بالناس قلب  
 لا أبصر ما يأتي وما يتجنب  
 علينا وأمر الغيب سر محجب  
 نقاد كما قيد الجنيب ونصحب  
 أصاب هواه ودرى كيف يذهب  
 ونذكر هنا اتماما للفائدة ما قاله السيد حسين المرصفي صاحب

«الوسيلة الادبية» تعليقا على هاتين القصيدتين . « يقول الشريف  
 في مطلع قصيدته والذي يليه . طلب الانسان ما أحب من أعالي  
 الرتب وأرفع الاحوال طلب حق أو فضيلة وذلك مرضي لله مندوب  
 اليه ليس للناس فيه موضع عذل أو تأنيب بخلاف غيره من الطلب  
 فانه يوجب سخط الله فلا يعذر صاحبه واذا يجد الناس موقفا للعذل  
 والتأنيب وهو التعنيف أو معني البيت الثاني اذا لم تكشف بالله عاذرا  
 فلا تأمله في الناس فاتهم بين عاذل أو مؤنب ويكون شكاية من  
 قلة الانصاف . وفي قوله . وقد شرع في ذكر فضائله ملكتي بحلمي  
 جميع التجريد فالعلم هو الفرضة والدهر هو مقتول الذراعين الاغلب  
 وتلك صفة الاسد أي مندمج الذراعين غليظ العنق . وهو تصدير

الموهوم بالمحسوس وحاصل المعنى ان شذائد الدهر لا تذهب بحلمه ثم قال فيما بعد انه على صغر سنه كبير الهمة واسترسل في ذكر مناقب نفسه حتى اتم الفصل ثم خاطب صاحبه ثم طلب السقيا الارض اعطشت وسقى غيرها وتأسف عليها واتبع ذلك بذكر برق لحظة ثم ذكر طلبا وانخفاقا في قوله أمن بعد ان جلتها . ثم وصف ليلة سارها في قوله وذرهما من ليل التمام ثم وصف خيالا قصديها الاعداء في قوله ومصقولة الاعطاف ثم هجا ومدح في قوله دعوا شرف الاحساب الى آخره فانظر هداك الله بنور البصيرة الى هاتين القصيدتين تجدهما قد ابتدئتا في البلاغة وحسن السياق غاية بلغتها معا وذلك فضل يؤتيه الله من يشاء »



### وقال في منفاه

|                               |                              |
|-------------------------------|------------------------------|
| ردوا على انصبا من عصرى الخالى | وهل يعود سواد اللمة البالي   |
| ماض من الغيش والاحت مخائله    | في صفحة الفكر الاهاج بلبالي  |
| سلبت قلوب فقرت في مضاجعها     | بعد الحنين وقلبي ليس بالسالي |
| لم يدر من بليت مسرورا بلذته   | انى بنار الامى من هجره صالي  |
| ياغاضبين علينا هل الى عدة     | بالوصل يوم اناغى فيه اقبالي  |
| غبتم قاطم يومي بعد فرقتكم     | وساء صنع الليالي بعد اجمال   |
| قد كنت احسبني منكم على ثقة    | حتى متيت بما لم يجر في بالي  |
| لم اجن في الحب ذنبا استحق به  | عنا وليكنها تحريف اقوال      |
| ومن اطاع رواة السوء فقره      | عن الصديق سماع القيل والقال  |
| أذهى المضائب غدر قبله ثقة     | واقبح الظلم صد بعد اقبال     |
| لا عيب في سوى حرية ملكيت      | أعني عن قبول الدل بالمال     |

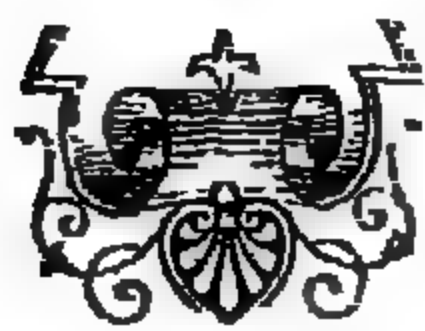
تبعث خطة أبائي فسرت بها  
فما عرّ خيال الغدر في خلدي  
قلبي سليم ونفسي حرة ويدي  
لكنني في زمان عشت مغتربا  
يلوت دهرى فما أجدت سيرته  
خلبت شطريه من يسر ومسرّة  
فما أسفت لبؤس بعد مقدرة  
عفاقة نزهت نفسي فما علقت  
فاليوم لارسني طوع القياد ولا  
لم يبق لي أرب في الدهر أطلبه  
وأين أدرك ما أبغيه من وطر  
لا في (سرنديب) لى الف أجاذبه  
أبيب منفرداً في رأس شاهقة  
إذا تلفب لم أبصر سوى صور  
تهفو بي الريح أحياناً ويلحنني  
نقى السماء غيوم ذات أرواقه  
كأن قوس الغمام الغر قنطرة  
إذا الشعاع تراءى خلفها نشرت  
فلو ترأى ويردى بالندى لثق  
غال الردى أبويه فهو منقطع  
أزغب الرأس لم يبد الشكير به  
كأنه كرة ملساء من آدم  
يظل في نصب حرارت مرتقبا

على وتيرة آداب وآمال  
ولا تلوح سمات الشرف في خالي  
مأمونة ولساني غير ختال  
في أهله حين قلت فيه أمثالي  
في سابق من لياليه ولا تالي  
وذقت طعميه من خصب واحمال  
ولا فرحت بوفر بعد اقلال  
بلوثة من غبار الدم أذيالي  
قلبي الى زهرة الدنيا بعيال  
الا صحابة حر صادق الخال  
والصديق في الدهر أعيال محتال  
فضل الحديث ولاخل فبرعى لي  
مثل القطامي فوق المربأ العالي  
في الدهن يرسمها نقاش آمالى  
برد الطلال يبرد منه أسبالي  
وفي الفضاء سيول ذات أوशल  
منقوذة فوق طامي الماء ميسال  
بدائعا ذات ألوان وأشكال  
خللتني فرخ طير بين أدغال  
في جوف عيناء لاراع ولا وال  
ولم يصن نفسه من كيد قتال  
خفية الدرر قد علت بجريال  
قع الصدى بين أسحار وآصال



يكاد صوت البزاة التمر يقذفه  
 لا يستطيع انطلاقاً من غيابه  
 فذاك مثلي ولم أظلم ولم وربنا  
 شوق ونأي وتبريح ومعتبة  
 أصبحت لا أستطيع الثوب أسجبه  
 ولا تكاد يدي تجري شبا قلبي  
 فان يكن جف عودي بعد انصرته  
 علام أجزع والايام تشهد لي  
 راجعت فهرس آثاري فما لحت  
 فكيف ينكر قومي فضل بادرتي  
 أنا ابن قولي وحسبي في الفخار به  
 ولي من الشعر آيات مفصلة  
 ينسئ لها المناقد المحزون لوعته  
 فانظر لقولي تجدد نفسي مصورة  
 ولا تفرنك في الدنيا مشاكلة  
 ان ابن آدم لولا عقله شبح

من وكود بين هابي الترب جوال  
 كائن ! عو . مقول بعقال  
 فضله بجوى حزن واعوال  
 باللمحية من غدري واهمال  
 وقدأ كون وضا في الدرع سربالى  
 وكان طوع بنائى كل عسال  
 قالدهر . مصدر ادبار واقبال  
 بصدق ما كان من رسي واغفالى  
 بصيرتي فيه ما يزري بأعمالى  
 وقد سرت حكيم فيهم وأمثالى  
 وان غدوت كريم العم والخال  
 تلوح في وجنة الايام كالخال  
 ويهتدى بسناها كل قوال  
 في صفحته قولي خط تمشالى  
 بين الانام فليس النبع كالضال  
 مركب من عظام ذات اوصال



# فهرس الكتاب

ضحيقة

|     |                    |
|-----|--------------------|
| ٣   | تمهيد              |
| ٩   | البارودي في صباه   |
| ٢٣  | صناعته الشعرية     |
| ٢٩  | البارودي في كهولته |
| ١ - | الثورة القراية     |
| ٤٥  | ٢ - المنفي         |
| ٥٩  | ٣ - آخر أيامه      |
| ٦٩  | مختارات            |

# فهرس المختارات

صحيفة

- ٦٩ قصيدته الغزلية : هل من قى ينشد قلبي معي  
٧٠ قصيدته في حرب كريد : أخذ الكرى بمعاقد الاجفان  
٧١ قصيدته التي يجارى بها أبا فراس : طربت وعادني الخيلة والسكر  
٧٢ قصيدة سل الفلك الدوار ان كان ينطق  
٧٤ قصيدته الغزلية : غلب الوجد عليه فبكى  
٧٥ طائر على غصن  
٧٦ قصيدة أبي نواس : يا دار ما فعلت بك الايام  
٧٧ قصيدة البارودي في الوزن والروي : ذهب الصبا وتوالت الايام  
٨٩ قصيدة أخرى يجارى بها أبا نواس : تلاهيت الامايجن ضمير  
٨٢ قصيدة النابغة في وصف المتجردة : أمن آل مية رائح أو معتد  
٨٣ قصيدة البارودي في الوزن والروي : ظن الظنون فبات غير موصد  
٨٥ قصيدة الشريف الرضي : لغير العلامتي القلي والتجنب  
٨٩ قصيدة على زوي قصيدة الشريف : سواي بتحنان الاغريد يطرب  
٩٢ قصيدته في منقاه : ردوا على الصبا من عصري الخالي





# مؤلفات الكاتب

## بالفرنسية

- ١ - النودة المصرية ، في مجلدين مصدر كلاهما بمقدمة من قلم مسيو اولار موزخ النودة الفرنسية والاسناد بجامعة السربون ، وقد نفذ الجزء الاول منها
- ٢ - المسألة المصرية ، كتاب يشمل على النقط الاساسية في تاريخ مصر الحديث من وقت دخول الفرنسيين مصر لغاية نودة ١٩ ( يطلب من مكتبة المؤيد بشارع محمد علي ومن المكاتب الفرنسية بالقاهرة والاسكندرية )

## بالعربية

- ١ - تاريخ الحركة الاستقلالية في ايطاليا ، محاضرة القايت في الجامعة المصرية على قسمين وهي تناول اليحت في الحركة الابطالية ورجالها ماريني وكافور وشنور عما لويل وجاريلدي ومالان - مقدمة بقلم خليل مطران
- ٢ - محمود سامي البارودي ، بحث ادبي تاريخي في حياة المرحوم محمود باشا سامي البارودي وشعره ،
- ٣ - اسماعيل صبري ، حياته وشعره بحث على لسق البارودي ( نعت الطبع )











بمكتبة الإسكندرية  
Bibliotheca Alexandrina

0219132



0219132